

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحو العدد ٢٠ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للثقافة والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٦٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ — ٢٥ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أعداؤنا الثلاثة

كانت « الرسالة » أول من حصر أعداءنا الثلاثة في الجهل والفقر والمرض حين اقترحت على وزارة الشؤون الاجتماعية أن يجر دستورها الإصلاحى تحت هذه العناوين ، لأنها «مُجمَع لعلل التي يصدر عنها كل فساد وينجم منها كل شر»^(١)؛ وقالت مُمنذ : إن هذه الوزارة تجتهد رسمى لدعوة النبوة ، فلاك الأمر بها الدرس والرؤية والمشورة والمزجعة والنفاذ ، على أن يكون كل رأى فى وجهه ، وكل عمل فى وقته ، وكل امر فى أهله . ثم انتظرنا وانتظر الناس ، فإذا هى وزارة كسائر الوزارات : بكتاب وكتاب ، وسمة وحجاب ، وأوراق تفرق وتجمّع ، أرزاق تقدر وتوزّع ، ثم علم من غير عمل ، أو عمل من غير علم ؛ إذا نحن بعد ثمانى سنوات من عمرها لا تزال من الأمية والفاقة بالغة فى الموضع الذى كنا فيه إذا لم تكن تأخرنا عنه . ذلك لأنها وزعت جهدها الضئيل ونالها القليل على ما سلبت من اختصاص الوزارات فمجزت عن أداء ما خلقت له ؛ وتماقت لملها الوزراء والكلاء تماقت الظلال الخفاقة فلم يمهكوا حتى نضجوا الرأى ورسّموا الخطة وبيتفوا الوسيلة . فإذا سنع لها بالمر فى الإصلاح بدأته من آخره أو أخذته من طرفه فينتشر ليها الأمر وتلبس أبابها الوجهة . فالأمل إذن فى استمدائها

على الجهل والفقر والمرض وهى مصابة بهن جميعاً أشبه الأشياء باستنار الصفصاف واستيلاد المعجم . ولكن علم البقاء المصرى كانت قد برزت فى وعينا القوى بروز العقيدة الراسخة والضرورة الملحة ، فهى تثب إلى الميرون وثوب الحصى ، وتقع فى القلوب وقوع النبل ، فمن حاول أن يفر منها أو ينفى عنها كان كالمصحّر فى وسط الزوبعة أننى أنجيه وجد الرمل فى وجهه والظلام فى وجهته . وذلك مثل الذين تزعموا نهضة الأمة فى مدى ربع قرن فقصرّوا الجهود وحصرّوا الأفكار فى مكافحة العدو الرابع وهو الاحتلال . ولو كتب الله لهم التوفيق لشبّوها على الأعداء الأربعة فى وقت واحد ؛ ولو مهد لهم سبيل الفوز لجمعوا اليدان الأول للعدو الأول وهو الجهل ؛ لأنه هو الذى ولد الفقر والمرض ثم استعان بهما على سلب الاستقلال ، وجلب الاحتلال ، وقتل الروح القومية فى الشعب ، فلم يكن له رأى عام لنقص إدراكه ، ولا خير مشترك لضعف إنتاجه ، ولا كيان صحيح لوهم جسمه . ولكن زعماءنا اختاروا أسلم الميادين ، ونهجوا أسهل الطرق ، وابتغوا عرّض الحياة ، لأن محاربة الاحتلال لا تكلفهم غير تأليف المظاهرات وإنشاء المقالات وإلقاء الخطب ، ثم تنتهى بهم وشيكاً إلى الحكم والثروة والجاه عن طريق الدستور أطال الله عمره وأعز نصره ! أما محاربة الجهل والفقر والمرض ، فجهاد لا يثبت له ولا يصبر عليه إلا أولو العزم من المجاهدين المخلصين المضحين الذين يملون ليرضى الله ، ويشقون ليسعد الناس ، ويموتون ليحيى الوطن !

(١) العدد ٣٢٩ (٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٩) وما بعده .

نستطع النهوض بها ، ولم تصارع الناس بالمعجز عنها ؛ وظلت تدعو على هامش الحكومة : تصدر المجلة ، وتعلمن الموالد ، وتصد النقابات ، وترور الساجين ، وتستقبل المال ، وتأخذ شيئاً من شيء ، ولا تؤثر أبداً في أي شيء ! وكان من وسائلها المرد لو رزقت ملكة الابتكار ، أن تدبر المال والرجال يمثل ما يد اليوم رئيس الحكومة فتذل العقبة التي وقفت دونها خائرة - لا تعرف لأمرها قبلة ولا ديرة .

لقد عبأ رئيس الوزراء قوى الحكومة والشعب لمحاربة أعد الأربعة ، وليس في الأمة اليوم كما يقول شبابها ويردد كثر من يرضى بماله ونفسه على هذه الحرب ، فهل آن لمصر السادر الخلف والنبي أن تدرك سر النهوض ، وتعرف حقيقة الإصلاح وتعلم أن الأمة لا تكون متمدة إلا إذا امتحت هذه القر المحيطة بين الخاصة والعامة ، وبين المدينة والقرية ؟ إنك ترى الآن القروى في جسمه الضاوي وثوبه الخلق وجهله المطبق ، ثم الغنى الحضري وعليه زهرة العيش ونضرة الصحة ونور الـ فلا تصدق أن هذين الرجلين يرأهما وطن واحد ، وتر حكومة واحدة !

إن مرة الاحتلال العسكري تصيب المحتل في شرفه وضميره لأنه يبرره بضعفنا ويؤيده بقوة ؛ ولكن مرة الإنحلال الفـ والجسدى والاجتماعى تصيب الشعب في كرامته ودينه ، لأنه ير وهو قادر على الافلات من ربقته .

لذلك كنا أحرى أن نفكر بعض التفكير في عاقبة الأمور ؛ فإن الوزارة الصديقة محدودة الأجل بنتيجة المفاوضات فإذا أخفقت مفاوضة الاحتلال ، أو مال ميزان الانتخابات الشمال ، اعتزلت الوزارة الحكم لا محالة . وإذن يحق لنا أن نتساءل عن مصير العاملين العظميين اللذين بدأهما صدق باشا ؛ المفاوضات السياسية فسيستأنفها وفد يتلوه وفد إلى أن يرث الجزر البريطانية ومن عليها ، لأن هذا النوع من الجهاد ونحن نجيده ، وسلام ونحن نزيده . وأما هذه الهبة الإصلاح فأغلب الظن ألا تستمر ، لأنها بناء ونحن نحب الهدم ، ونحن نؤثر الراحة ، ومجد ونحن نكره أن يكون لغيرنا الإكر والله سبحانه وتعالى قادر على أن ينجيب هذه الظنون . وأن : للشعب كمن فكون !

على أن الزعيم الحكيم يستطيع أن يدرك من وراء السياسة والحكم رضا قلبه ورضا شعبه ورضا ربه إذا تأبى على الطامع ، وتعالى عن الشهوات ، ووجه قوى الحكومة والأمة كلها إلى هذا الجهاد المقدس . إنه إن أحسن التنبيه وأخلص التوجيه وأحكم القيادة ، أبلى بلاء الرسل دون أن يتصدى لمخاطر الرسالة ، وجوزى جزاء الملوك دون أن يتعرض لمكاره المُلْك ، فأجناده يضحون وهو يُعبد ، وقواديه يحاربون وهو ينتصر ، وأنداده يفنون وهو يخلد !

ليت شعري هل كان يفكر في ذلك صاحب الدولة رئيس الحكومة القائمة حين قطع العزم على أن يكون برنامجاً في الحكم مفاوضة الاحتلال في مصر والسودان على الجلاء ، ومجاهدة الجهل والفقر والمرض حتى الفناء ؟ !

نعم ، طوى برنامجاً سياسياً على هذين المطلبين ، ثم أخذ يهيئ لها الأسباب ويُصد الأهب ، فألف وفد المفاوضة من رجال السياسة ، وفي الوقت عينه ألف مجلساً أعلى لشؤون الطبقات الفقيرة من وزراء المعارف والشؤون والصحة والزراعة والتجارة ، وجعل لنفسه الرئاسة في الوفد المفاوض وفي المجلس الأعلى ، ثم بدأ العمل في الميدانين على السواء . والذي يمتينا اليوم ذكره أن هذا المجلس الأعلى قرر القيام بطائفة من أضخم المشروعات الثقافية والاقتصادية والصحية ، تحقق العدالة الاجتماعية ، وترفع مستوى العيش لجمهور الشعب وهو صلب المجتمع وأداة إنتاجه وعدة دفاعه ؛ ورأى تنفيذاً لتلك الأعمال الخطيرة أن يقد لها قرضاً وطنياً بمئتين مليون جنيه يُتمر فيه عفو المال وفضلات الرزق فتجدي على صاحبها مرتين : مرة في نفسه ، وأخرى في جنه ! من تلك المشروعات العتيدة ما يماج الجهل كإصلاح التعليم الإلزامي ، ومحو الأمية فيمن شيوخاً عن الطوق وجاوزوا حد الإلزام .

ومنها ما يماج الفقر والمرض كتقسيم القطر إلى وحدات اجتماعية عامة ، تنقسم كل منها إلى عشرة آلاف وحدة ، تتمثل في كل وحدة جميع الوزارات المشتركة في هذا المجلس الأعلى فتكون سفيراً بين الحكومة والفلاح ، وصلة بين العلم والزراع ، ورسولاً من الطب إلى المرضى ، ووسيطاً بين التاجر والمنتج ، وبرزخاً بين الناس والمعرفة ؛ وتلك هي الأعمال التي أنشئت لها وزارة الشؤون فلم

كافور الأخشيدي

للأستاذ أحمد رمزي

—»»»»»—

احتدم الجدل في إحدى الليالي بين مصري وعراقي ، فقال الأول : « رحم الله الحجاج بن يوسف الثقفي » ؟ ورد عليه الثاني : « وقد تملكته سورة الغضب : « رحم الله كافوراً الأخشيدي » . واشتد حنق المصري إذ وجدها كبيرة على نفسه أن يحكم بلاده كافور ، فلما أتى إلى ذلك قلت : « يا صاحبي لا تحزن ، إن أباً المسك الأستاذ كافور كان أميراً من أكبر الأمراء ، وعاهلاً من أعظم ملوك المسلمين بمصر ، ويزيد بلادنا فخراً أن تولاهما مثله كما لا ينقص من قدره سواد لونه ، بل في ذلك دليل على علو همته . وإن لونه لم يقمده عن بلوغ أعلى المراتب ، ودليل على أننا لا نفرق بين الأبيض والأسود ، لأننا جميعاً سواء . وإذا أخذ عليك ولاية كافور علينا ، فقل إن ملكه شمل مصر والشام ، وإنه كان يخطب له على المنابر بمكة والدينة والحجاز جميعه وبمشق وأحلب وأنطاكية والثغور وفيها طرسوس^(١) والمصيصة وغيرها من الأقاليم التي خضعت لسلطوته ودانت لسلطانه كما ذكره الفرغاني ونقله ابن خلكان في ترجمته لكافور . فإذا وجدت معرفة بكافور فاسأل غيرنا تجدهم قد شاركونا فيها ، فكيف وليس في الأمر معرفة علينا ، بل مفخرة لنا ؟ »

« أليس كافور من أبناء السودان ، وكلنا نقصد الوحدة الشاملة ؟ فكيف تستكثر على أحد أبنائه ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته ؟ وهل كان كافور عاطلاً هلالاً حتى تؤاخذنا به ، أو نبأ من ولايته وإمارته ، وهو الذي قال فيه أبو الطيب المتنبي برغم تحامله بعد ذلك عليه :

قواعد كافور نوارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
لجأت بنا إنسان عيت زمانه وخلت بياناً خلفها وماقيا
وهو القائل فيه :

فإن لم يكن إلا أبو المسك أوهم فإني أحلى في فؤادي وأعذب

وكل امرئ يولى الجليل محب وكل مكان ينبت المز طيب « قال : « أو لم تسمع بقارع الهجاء وشنيع الذم ؟ » قلت : « إذا فلنتخذ ما نشره جرائدنا ومجلاتنا الحزبية دليلاً على إفلاسنا وفنائنا ، فمتى كان يقام وزن للهجاء والتشنيع الذي يمليه المقد والنفس الموتورة ؟ »

أما أنا فأخذ بما ذكره الذهبي^(١) عن كافور إذ قال : « كان يدنى الشراء ويجيزهم ، كانت تقرأ عنده في كل ليلة السير وأخبار الدولتين الأموية والعباسية . وكان عظيم الحرمة ، وله حجاب ؛ ثم قال : « إنه تقدم لدى الأخشيد صاحب مصر لعله ورأيه وسمده إلى أن صار من كبار القواد ، ثم أتاك ولد له أبي القاسم أنوجور ، ووصل إلى أن زاد ملكه على ملك مولاه الأخشيد . وتكلم على مقدرته وكفايته وحسن تدبيره فقال : « إنه كان خبيراً بالسياسة فطناً ذكياً جيد العقل داهية » ، وضرب مثلاً لذلك حين قال : « إنه كان يهادى المز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه ، وكان يذعن بالطاعة لبني العباس ، ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء حتى تم له الأمر » . أليس في ذلك دليل على قوته ؟

وأذكر لك ما عثرت عليه من أن كافور كان أول من غزا ، ولازمه التوفيق في فتح الأقاليم النوبية ، فقد هاجمها قبله أبو منصور تكين التركي هي وبرقة في عام واحد ، ولم يتم فتحها على يديه .

ولما غزاها كافور كان التوفيق حليفه ، لأن جيش المسلمين كان من السودان ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ولما غزا كافور دنقلة غدا بجيش كطول الأرض في مثلها عرض

غزا الأسود السودان في رونق الضحى

ولما التقى الجمعان أظلمت الأرض

فهو أول من تمت الوحدة على يديه . وهو حامل لواء الإسلام

والعروة في أراضي السودان . ولو شئت أن تعلم عن كافور وأيام

كافور وأيامه البيضاء وأنفاسه الطاهرة ومجده وسلطانه وحسن

بلائه ، فمليك بكتب التاريخ تنبئك عن عقل ودراية وحكمة وسياسة وحسن تصريف للأمر وفهم للناس وطبائعهم ، وهذه

أشياء شهد لها بها المعاصرون ووفوه حقه فيها . أما نحن فنرى

(١) النجوم الزاهرة جزء رابع .

(١) حماديتان في ولاية أنت داخل الجمهورية التركية

طباخ يبيع الطعام، فمير كافور في شبابه وطلب منه شيئاً من الطه
فصر به بالثرقة على يده وهي حادة ، فوقع منشياً عليه ، فأه
رجل ورش عليه الماء ، وأواه حتى وجد العافية . قال : « ف
عزت عليه نفسه يذكر ما أصابه من الطباخ ، وقد ركب و
إلى ذلك الزقاق ، ويسجد شكراً لله على نعمائه » . وكان ي
ذلك في إبان ملكه ومجده وعظمته .

قلت لصاحبي وقد يكون في ذلك بعض المبالغة من أص
السير ؛ ولكن ما الحكمة في ذلك وكافور لم يعقب نسلاً ولم ي
أهلاً ولم تصمد دولته بعده ليلمقها الكتاب والمؤرخون ؟ و
ناحية أخرى تحب إلى الرجل : هي فهمه للناس وعطفه
وأخذه باللين مع تعاليه عن تصديق الواقعة وقبول الفتن .
ذكر ابن خلكان في ترجمة الشريف ابن طباطبا ولا يزال قبره
بقراة الإمام الشافعي : « أنه كان طاهراً كريماً فاضلاً ص
ضياح ونعمة ظاهرة وعبيد وحاشية ؛ وكان يرسل لكافور في
يومين جامين حلوى ورغيفاً في مندبل مختوم ، فحسده بعض الأ
وقال لكافور « اخلو حسن فما لهذا الرغيف فإنه لا يحسن
يقابلك به » فأرسل إليه كافور يمتدح عن قبول الرغيف ، فم
الشريف إليه وعلم أنهم قد دسوا عليه ، فلما اجتمع به قال
« أيديكم الله إنا لا ننفذ الرغيف تطاولا وتماظا ، وإنما هي
حسنة تمنحني يديها وتخزها فترسله إليك على سبيل التبرك ،
كرهته قطمناه » فقال كافور : لا والله لا تقطعه ولا يكون
سواء » (١) .

وكان محدثي قوياً لا يلين ، فيه عنجهية من بقايا القرو
سبقت الإسلام والرسالة الحمديدية ، فهو مصر على التفرقة بين
حسب ألوانهم كما قسم مثل الناس وصنف الشعوب أص
فقلت له إن ابن زولاق ، وهو حجة في الموضوع ، قد ا
لكافور فقال « إنه كان ديناً كريماً » ، فانظر ما نقله
الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة عن ابن المجلى في تاريخ
إذ قال :

حدثني أبو الحسن البغدادي قال : وردت إلى مصر و

(١) ذكر صاحب كنز الدرر ونقله صاحب الجوز الزاهر
سماط كافور كان في اليوم مائتا خروف كبار ومائة خروف رمية
الأوز والدجاج والحمام والحلوى والشراب .

فيه رجلاً عظيماً من عظماء القرن الرابع الهجري ، خدم بإخلاص
مولاه الأخشيد ، وصان استقلال مصر لسنوات ، وواجهته
المصاعب والمشاكل والحروب ، فتغلب عليها وخرج من مآزقها ،
وهو بطل من أبطال تاريخ مصر العربية ، ولذلك تجدني من
أنصار كافور ومن المجيبين به ومن الداعين لحفظ ذكره ، ولو
كان لي من الأمر شيء ، لبحثت عن قبره ، وأتت قبة عليه ،
ثم لطلبت من أولى الأمر في مصر والسودان أن يطلق اسمه على
ميدان أو شارع بالقاهرة وأم درمان والخرطوم ، صيانة لذكركه
وإقراراً لفضله ، وتوكيداً لصلوات مصر والسودان .

فإذا كان الأميركان من الملونين يبحثون عن صورة بوشكين
الشاعر الروسي الشهور ، ويضمونها في أحسن مكان لصلة القرى
مهمهم لسمة لونه ، فكيف ينكر فضل كافور وهو ملك من أعظم
الملوك ؟ ولم لا يقوم السودان ويقدم له ويحتفي به وهو منه
وإليه منسوب ؟

إنني يا صديقي لا أنفق منك ولا أجاريك في قولك بأن الوطنية
والكرامة تمليان حذف اسمه وسيرته وعهده من كتب التاريخ ،
بل أقول : إنهما تمليان علينا نشر فضائله ومحاسنه ؛ وإنى كلما
تأملت في عصر أستاذنا أبي السك كافور وقرأت عنه وعن أخلاقه
وسيرته بين الناس ، بدت شخصيته ممتازة محبوبة عليها وفار
واحترام وحشمة ، لا بأعماله السياسية وحياته اللطيفة ، وهي
ليست موضع نزاع ، بل بأدبه وتواضعه وخضوعه لأحكام الله ،
وكرمه وإخلاصه ابن حوله ، ولصلاته ودأبه على عمل الخير وإسداء
المعروف ، وهي نواح إن أهملتها بعض كتب التاريخ ، فقد
وجدت مبصرة ، ولذلك رأيت أن أشير إليها .

قال إبراهيم بن اسماعيل إمام مسجد الزبير : « إن كافورا كان
يدأوم الجلوس بالنداء والمنى لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهجد
ويعرغ وجهه ساجداً ويقول : « اللهم لا تسلط على مخلوقاً » .
وكان لا يأنف من أصله ومولده ، ويحمد الله أن رفع من قدره ،
وينسب ما لقي من خير إلى توفيق الله ونعمته . فقد ذكر أبو بكر
الارداني ، وكان وزيراً لكافور ولأبي منصور تكين التركي :
« إن كافورا كان دائم التحدث بنعمة الله عليه ، ويذكر أيامه
بالسودان ، وكيف جرى به إلى مصر وعمره أربع عشرة سنة » .
وحدث أنه كان بمدينة القسطنطينية في السوق المنسوية لبني حبا

لدين الله إلى القاهرة من بلاد المغرب ، ركب لكسر خليج
القفطرة ، فكسر بين يديه ، ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ
إلى بني وائل ، ومر على سطح الجرف في موكب عظيم ، وخلفه
وجوه أهل الدولة ، ومعهم أبو جعفر أحمد بن نصر يسير في ركابه ،
ويعرفه بالواقع التي يجتاز عليها ، وتجمعت الرعية للدعاء له ، ثم
عطف على بركة الحبش ، ثم على الصحراء ، وسار على الخندق
الذي حفره القائد جوهر ، ومر على قبر كافور ، وعلى قبر ابن
طباطبا الحسني ، ثم عاد إلى قصره^(١) .

عثر على هذا النص عرساً ، فوَقَّفت مندهشاً أمام النصوص
التي تقول : بأن تابوت كافور نقل إلى القدس ودفن بها وكتب
على قبره :

ما بال قبرك يا كافور منفرداً

بصحاح الموت بعد المعسكر اللجب ؟
يدوس قبرك آحاد الرجال وقد
كانت أسود الشرى تخشاك في الكتب
ودخلت بحر أيموج بالسائل ، وكلها تحتاج لتحقيق ، وسنرى
ما يكون من أمرها .

أحمد رمزي

الفصل العام السابق لمصر بوردوا ولبنان

(١) ابن زولاقي في كتاب سيرة المزمّلين الله نقله الميرزى في الخطوط
لاذكر ما كان يعمل عند فتح الخليج .

إدارة البلديات - مباني

تقبل المطاوعات بإدارة البلديات
(بوستان قصر الدوباره) لثانية ظهر يوم ١٥
أبريل سنة ١٩٤٦ عن توريد ٨٢٠ طن
حديد مبروم لأعمال الحرساة المسلحة
وتطلب الشروط والوصفات من
الإدارة على ورقة دمنه فئة الثلاثين ملياً
مقابل دفع مبلغ ١ جنيه خلاف مصاريف
البريد . ٥٠٤٢

أبي وكنت دون البلوغ في أيام كافور الأخشيدي ، وكان أبو بكر
المجلى يتولى نفقة كافور ومصلحه وخواص خدمته ، فانتسجت
بينه وبين أبي مودة ، فكان يأتي إلى أبي ويؤزّره ، فجلس في بعض
الأيام يتحدث ويتذاكر أخبار كافور ، فقال أبو بكر لأبي وأنا
أسمع : إن هذا الأستاذ كافور له في كل عيد أنحى عادة ، وهو أنه
يسلم إلى بغلا محلاً ذهباً وورقاً وأمضى مع صاحب الشرطة
ونطوف من بعد العشاء إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك لكل من
أجد اسمه في تلك الجريدة فأطرق أبوابهم وأقول لهم هذا من
عند أبي السك كافور .

وقال أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوي النسابة :
ما رأيت أكرم من كافور : كنت أسايره يوماً وهو في موكب
خفيف يريد الزهة وبين يديه عدة جنائب ، فوَقَّفت مقرعته من
يده ، ولم يرها ، فزلت عن دابتي وأخذتها من الأرض ، فقال :
أيها الشريف ، أعود بالله من بلوغ الناية ، ما ظننت أن الزمان
يبلغني حتى تفعل أنت هذا معي ، وكاد يبكي ... فقلت : أنا صنيعة
الأستاذ ووليّه . فلما بلغ داره ودعني . ولما سرت التفت ، فإذا
بالجنائب والبقال كلها خلفي . فقلت : ما هذا ؟ قالوا : أمر الأستاذ
أن يحمل مركبه إليك بجنائبه . فأدخلته داري ، وكانت قيمته
تزيد على خمسة عشر ألف دينار !

تلك أقاصيص موزعة مفرقة أوقمتني الصدوف عليها في مواضع
متعددة ، وهي تكشف الطريق لنا لبحث نفسية كافور ، فهذا
رجل وصل إلى درجة من أعلى درجات عصره وكانت نهايه الدنيا ،
فانظر إلى تواضعه وخجله ، وإلى نفسه الهادئة المطمئنة ، وقس على
ذلك فتاقيع الرجال ممن تلقاهم كل يوم ، وهم لا يملكون لأنفسهم
ولا لتغيرهم من الأمر شيئاً ترامم يخفون ضعفهم بالتظاهر بالقوة ،
وجهلهم بتعاليمهم على الناس ، وهم في مشيتهم وغطرستهم وحديثهم
وما يبدو في وجوههم مضحكة ومهزأة للعصر الذي نعيش فيه
وللمصور القادمة : « يا أيها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له ،
إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ، ولو اجتمعوا له ،
وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب »
صدق الله العظيم^(١) .

وفي ذي القعدة سنة ١٣٦٢ هـ ، وهي السنة التي قدم فيها المزم

من غزل الفقهاء

للاستاذ علي الطنطاوي



قال لي شيخ من الشايخ الزمّتين ، وقد سقط إليه عدد من الرسالة ، فيه مقالة لي في الحب :

— مالك وللحب ، وأنت شيخ وأنت قاض ، وليس يليق بالشيخ والقضاة أن يتكلموا في الحب ، أو يعرضوا للغزل ؟ ! إنما يليق ذلك بالشعراء ، وقد زه الله نبيه عن الشعر ، ورفع العلماء وهم ورثة الأنبياء عنه ، وصريح الشافعي أنه يرمى بهم ، ولولا ذلك لكان أشعر من لبيد ...

فضحكت ، وقلت له :

— أنا فت مرة في السّحر ، فأحسست نسيم الليل الناعس ، وسكونه الناطق ... وجماله الفائق ، فشمرت بباطنة لا عهد لك بمثلها ، ولا طاقة لك على وصفها ؟

أما سمعت مرة في صفاء الليل نعمة عذبة ، من مفنّ حاذق قد خرجت من قلبه ، فهزت منك وتر القلب ، ومست حبة الفؤاد ؟

أما خلوت مرة بنفسك تفكر في الماضي فتذكر أفراده وأتراحه ، وإخوانا كانوا زينة الحياة فطوام الترى ، وعهداً كان ربيع العمر فتصرم الربيع ، فوجدت فراغا في نفسك ، فتلفت تفتش عن هذا الماضي الذي ذهب ولن يعود ؟

أما قرأت مرة قصة من قصص الحب ، أو خبرا من أخبار البطولة فأحسست بمثل النار تمثني في أعصابك ، وبمثل جناح الطير يخفق في صدرك ؟

أما رأيت في الحياة مشاهد البؤس ؟ أما أبصرت في الكون روائع الجمال ؟ فن هو الذي يصور مشاعرك هذه ؟ من الذي يصف لئلك النفسية وآلامك ، وبؤسك ونمائك ؟ لن يصورها اللغويون ولا الفقهاء ولا المحدثون ، ولا الأطباء ولا المهندسون . كل أولئك يعيشون مع الجسد والمقل ، محبوسين في معقلهما ، لا يسرحون في فضاء الأحلام ، ولا يوغلون في أودية القلب ،

ولا يلجئون عالم النفس ... فمن هم أهل القلوب ؟
إنهم الشعراء ، يا سيدي ، وذلك هو الشعر !

إن البشر يكذبون ويخدعون ، ويسرون في صحراء الحياة وقيد نواظرم كواكب ثلاثة ، هي هدفهم وإليها المسير ، ومن الهدى وهي السراج النير ، وهي الحقيقة والخير والجمال ، وإكوكب الجمال أزهلها وأبهأها ، إن خفي صاحباه عن بعض الناس فما يخفي على أحد ، وإن قصرت عن دركهما عيون فهو مل ، كما عين ، والجمال بعد أس الحقائق وأصل الفضائل ، فلو لا جمال الحقيقة ما طلبها العلماء ، ولو لا جمال الخير ما دعا إليه الصالحون وهل ينازع في تفضيل الجمال إنسان ؟ هل في الدنيا من يؤي الدمنة القفرة ، على الجنة الزهرة ؟ والجوز الشوها ، على الصب الحساء ؟ والأسمال البالية على الحلل الغالية ؟

فكيف يكون فيها من يكره الشعر ، وهو جمال القول وفتنة الكلام ؟ وهو لنة القلب فن لم يفهمه لم يكن من ذو القلوب . وهو صورة النفس ، فن لم يجد فيه صورته لم يكن إلا جاداً . وهو حديث الذكريات والآمال ، فن لم يذكر ماضياً ولم يرج مستقبلاً ، ولم يعرف من نفسه لذّة ولا ألى ، فليس بانساز

ومن قال لك يا سيدي إن الله زه نبيه صلى الله عليه وه عن الشعر لأن الشعر قبيح ؟ إنما نفي عنه أن يكون شاعراً كما عرف العرب من الشعراء ، وردّ عليهم قولهم : « إنه شاعر » لأن الشاعر يأتيه الرحي من داخل نفسه ، والنبى يجيئه الو من السماء ، وهذا الذي لم تدركه العرب ، فقالوا قولهم الله رذّها الله عليهم !

وإن وجدت حرمة الشعر ، أو مذمته من حيث هو كما جميل ، بصف شعوراً نبيلاً ؟ إنما يقبح إذا اشتمل على الباطل كما يقبح كل كلام يشتمل عليه .

ومن أين عرفت أن العلماء قد ترفعوا عنه ، والكتب علم بالحيث من أشعارهم ، في الحب والغزل ووصف النساء ؟

أوما سمعت بأن النبي صلى الله عليه وسلم أسنى إلى كعب وهدهدر في قصيدته التي يتغزل فيها بسعاد ... ويصفها بما لو أ

بيضاء باكرها النسيم فصاعها بلباقة فادفها واجلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها !
فدنا فقال ، لعلها معذورة من أجل رقيبها ، فقلت : لعلها !
هذه الأبيات التي بلغ من إعجاب الناس بها أن أبا السائب
المخزومي لما سمعها حلف أنه لا يأكل بها طعاماً إلى الليل !

وهو القائل ، وهذا من أروع الشعر وأحلاه ، وهذا شعر
شاعر لم ينطق بالشعر تقليداً ، وإنما قال من شعور ، ونطق عن
حب ، فإيخى كلام المحبين :

قالت (وأبنتها وجدى فبحت به) :
قد كنت عندى تحب السر ، فاستتر
ألت تبصر من حولى ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى
هذا الشاعر الفقيه الذى أوقد الحب في قلبه ناراً لا يطفئها
إلا الوصال :

إذا وجدت أوار الحرف كبدى عمدت نحو سقاء الماء أبرد
هبنى بردت يبرد الماء ظاهره فن الحرف على الأشاء يتقد ؟ !
وهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أحد فقهاء
المدنية السبعة الذين انتعوا إليهم العلم ، وكان عمر بن عبد العزيز
يقول في خلافته ^(١) : لجلس بن عبيد الله لو كان حياً ، أحب إلى
من الدنيا وما فيها . وإني لأشتري ليلة من ليالى عبيد الله بألف
دينار من بيت المال ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، تقول هذا مع شدة
تحريك وشدة تحفظك ؟ قال : أين يذهب بكم ؟ والله إني لأعود
برأيه ونصيحته ومشورته على بيت المال بألوف وألوف . وكان
الزهرى يقول : سمعت من العلم شيئاً كثيراً ، فظننت أني اكتفيت
حتى أقيت عبيد الله فإذا كائن ليس في يدي شيء .
وهو مع ذلك الشاعر الفيل الذي يقول :

شقت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم قالتام الفطور
تنفل حب عثمة في فؤادى فباديه مع الخلقى يسر
تنفل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
أقسمت بأعمق من هذا الحب وأعلق منه بالقلب ؟ ولم
يكن يخفى ما في قلبه ، بل كان إذا لقيه ابن المسيب فسأله : أنت
الفقيه الشاعر ؟ يقول : « لا بد للمصدر من أن ينث » فلا

عليك مثله لتورعت عن سماعه ... وتصامت عنه ، وحسبت أن
التقى بمنك منه وذهبت تلوم عليه ، وتصح بالإقلاع عنه قائله ...
وما سعاد غداة البين إذ برزت

إلا أغنى غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت

كأنها تسهل بالراح ميسلول
هيما مقلبة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول
وأن عمر كان يتمثل بمثل ما نكره أنت ... من الشعر ،
وأن ابن عباس كان يصنى إلى إمام التزيين عمر بن أبي ربيعة ،
ويروى شعره ؟ وأن الحسن البصري كان يستشهد في مجلس
وعظه ، بقول الشاعر :

اليوم عندك دلها وحديثها وغداً لنفرك كفها والمصم
وأن سعيد بن السبب سمع مغنياً يغنى :

تضووع مسكاطن نمان أن مشيت به زيب في نسوة خفوات
فضرب برجله وقال : هذا والله مما يلد استماعه ، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيب درءها
وأبدت بنان الكف للجمرات

وعلت بنان المسك وخفأ مَرَجَلاً
على مثل بدر لاح في الظلمات
وقامت ترأى يوم جمع فأقنت برؤيتها من راح من عرفات
فكانوا يرون هذا الشعر لسعيد بن السبب !

ومالى أدور وأسوق لك الأخبار ، وعندنا شعراء كان شعرهم
أرق من النسيم إذا سرى ، وأصفى من شمع القمر ، وأعذب من
ماء الوصال ، وهم كانوا أئمة الدين وأعلام الهدى .

هذا عمرو بن أذينة الفقيه المحدث شيخ الإمام مالك يقول ^(١) :
إن التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك الذي زعمت بها وكلاهما بيدى لصاحبه الصباية كلها
وبييت بين جوانحي حباً لها لو كان تحت فرائشها لأقلها
وامرأها لو كان حبك فوقها يوماً وقد تحجيت إذن لأظلمها
وإذا وجدت لها وسواس سلوة شمع الفؤاد إلى الشمبر فسلها

طبيعة البلاد العربية^(١)

للدكتور جواد علي

على أن في الروايات اليونانية القديمة وفي المصادر السريانية والعربية ما يشير إلى أن بعض هذه المناطق الصحراوية الجرداء في الوقت الحاضر لم تكن في السابق على ما هي عليه الآن ، بل كانت مخصصة لمشية كثيرة السكّاء والماء ، معتدلة نوعاً ما في درجات الحرارة . ولم يكن هنالك بطبيعة الحال فروق كبيرة بين الحرارة والبرودة في الليل والنهار ، وأنها كانت عامرة توجد فيها المدن المأهولة والقرى .

ونلاحظ في الوقت الحاضر آثار أنهار وعميون ونبات وواحات لا بد وأنها كانت مأهولة معمورة ، ثم تغير الطقس فيها وحدثت فيها كوارث طبيعية دعت إلى هجرة سكانها عنها وإلى تحولها إلى تربة صحراوية . ولما جاء الإسلام كانت هذه الأماكن نسياً منسياً ، فتصور الناس أنها من أعمال قوم عاد أو من أعمال الجن^(٢) .

وقد عرف أكثر الرواة العرب مثل تلك الانقلابات الطبيعية والتقلبات الجيولوجية ، فأشاروا إليها فقالوا إنما حدث ما حدث انتقاماً من تلك الأقوام القديمة والشعوب التي أجابت داعي الهوى وكفرت بأنعم الله فأذاقها الله سوء العذاب^(٣) .

وفي القرآن الكريم - وهو أصدق مرجع بين أيدينا - إشارات كثيرة إلى تلك الأقوام التي عاشت في الأيام الخالية في شبه جزيرة العرب تؤيد هذا الرأي وتقويه . ففي كتاب الله آيات مفصلة عن عاد وإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها البلاد^(٤) وقوم نوح الذين جابوا الصخر بالواد^(٥) . وعن الأبيكة^(٦) . وردت عرضاً على سبيل القصة والموعظة .

وقد عرض المفسرون لهذه الآيات وأطنبوا في وصف تلك الأماكن والحلات ، وذكروا شيئاً مما كان قد رسخ في

(١) mortizy arabia p. 25 . السمودي ج ١ ص ٩١ (طبعة أوروبا) . القلائص ٢٨٩ ، ١٠٢ .

(٢) mortizy p. 28

(٣) القرآن الكريم سورة ٨٩ آية ٧

(٤) القرآن الكريم سورة ١١ آية ٩٦ وسورة ٢٢ آية ٤٢

وفي مواضع أخرى .

(٥) القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٧٨ وسورة ٢٦ آية ١٢٦

سورة ٢٨ آية ١٣ سورة ٥٠ آية ١٤ .

على الرغم من الموقع الممتاز الذي تشغله البلاد العربية في وجه الكرة الأرضية ، وعلى الرغم من الأهمية العسكرية التي تتمتع بها هذه البلاد بامتيازها قطرة عظيمة تصل بين قارات ثلاث هي قارات العالم القديم ، فإنها كانت ولا تزال قليلة السكان جداً بالنسبة إلى سعة مساحتها واتساع أرضها ، وفيها بقعة كبيرة تكاد تكون خالية من السكان تغلب عليها الطبيعة الصحراوية ، هي البقعة المعروفة بالربع الخالي ، وحولها منطقة واسعة قليلة السكان كذلك . وينتاب على هذه المناطق الجفاف والتغير السريع في درجات الحرارة بين الليل والنهار تغيراً يؤثر في طبيعة المكان تأثيراً كبيراً ، ينصب على الإنسان والأجسام الحية تحمله .

(*) من كتاب « العرب قبل الإسلام » للدكتور جواد علي لم يطبع بعد .

ينكر عليه ابن السيب . وهو القائل^(١) :

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم

ولامك أقوام ولومهم ظلم
ونم عليك الكاشحون وقيلهم عليك الهوى قد نم لو نفع النـم
وزادك إغراء بها طول بخلها عليك وأبلى لحم أعظمك الهم
فأصبحت كالنهدى إذ مات حيرة

على إر هند أو كن سقى السم^(٢)

ألا من لنفس لا نموت فينفضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت إتيان الحبيب تأنساً إلا إن هجران الحبيب هو الانهم
فدق هجرها إن كنت تزعم أنه رشاد ألا ياربما كذب الزعم
ألا إن هذا هو الشعر

البقية في العدد القادم

على الطنطاوي

(١) أمال القال .

(٢) قال البكري في اللآلئ ، هذا من القلوب كغرق الثوب المسار وترجمة النهرى هذا في الأغاني (١٩) .

وبني سليم . وقد حافظت أراضى بني سليم على خصبتها وإنباتها حتى العصر العباسي . ولما أهمل أمرها في هذا العهد بسبب الفتن والكوارث السياسية تحولت منذ هذا الوقت إلى أرض قاحلة صحراوية غادرها الناس وعافوها حتى غدت اليوم من المناطق المظلمة القفرة التي لا تزار^(١).

وقد اشتهرت بنو سليم على ما يظهر بنشاطها وبذكائها الخارق ، فابتكرت ولا شك طرقاً فنية لاستنباط الماء ولخزنها إلى وقت الحاجة . فلما أراد الحجاج حفر آبار على طريق الحج لم يجد من يحسن حفر الآبار واستخراج الماء غير رجال هذه القبيلة^(٢) . وطبيعي أن يكون للعرب علم خاص بطرق استنباط الماء وإقامة الحواجز ، وكيفية حفر الآبار والتعرف على نوع الأراضي التي يمكن استخراج الماء منها ، وإلا فكيف يعقل أن تنشأ هذه الحواجز وأن تحفر تلك الآبار لو لم يكن لهم علم بذلك ؟ ثم إن النصوص الليانية التي عثر عليها حتى الآن وهي قليلة تؤيد هذا الرأي وتدعمه^(٣).

وقد انتقل هذا الفن إلى المسلمين فظهر نقر من العلماء في العصرين الأموي والعباسي نظموا صرف المياه وكيفية السيطرة عليها وتوزيعه . وألف بعضهم في « كتب المياه » وفي إحياء الأراضي « الموات » وقد أضافوا إلى معلوماتهم العربية الخالصة ما أخذوه عن الأعاجم من آراء ونظريات وما قرأوه في كتبهم من أبحاث^(٤).

على أننا نسمع في نفس الوقت أصواتاً ترتفع من جوف البلاد العربية ومن مختلف الأنحاء تشكو الجفاف وتتالم من تراكم الأتربة في مجارى الأنهار . ومن جفاف مياه الواحات فجأة ومن موت النباتات والأشجار وتحول الأرض إلى صحار رملية ، وقد استمرت تلك الشكاوى بدون انقطاع حتى القرن التاسع عشر . وقد تكون من بين أسباب هذا الجفاف وتحول المياه أسباب

ليتلهم عن تلك الأقوام . وهي صورة وإن كان رواء الوضع يغلب عليها ، ومادة الخيال فيها خصبة ، إلا أنها صورة مهمما قيل بها فإنها مستمدة من واقع قديم تؤيده الآثار والتجارب العلمية الحديثة .

وكانت عناية الأهالي بالسدود عظيمة على ما يظهر من آثارها ، هذا اليوم . فعلى تلك السدود التي كانت تحافظ على مياه الأمطار أو مياه الأنهار والعيون كانت تتوقف حياة الأرض السكان . والظاهر أن الناس في ذلك الوقت كانوا على علم بأصول وزن المياه كالذي نشاهده من آثار سد مأرب ، ومن آثار السدود لأخرى في اليمن أو قرب يثرب في الحجاز (المدينة) وفي أرض بني سليم . وكانت تعرف بأسماء مختلفة تختلف باختلاف القبائل لهجاتها فتعرف باسم « مسك الماء » أو « مسدة » أو سد و مساك الماء^(٥).

ولم تخل البلاد العربية الشمالية من السدود^(٦) . وقد استمر لعرب على إنشاء السدود حتى بعد تدهورهم في المصور الجاهلية التي سبقت الإسلام واتصلت به بل حتى في المصور الإسلامية كالعصر الأموي^(٧).

وامتازت منطقة يثرب بكثرة ما أنشئ فيها من النواظم السدود والترع الفنية . ففي وادي بطحان وهو واد من ودية المدينة سد الماء . وفي وادي المقين سد آخر عند جبل موران^(٨) وثالث في وادي محزول وقد كان حتى زمن الرسول^(٩) . ثم سد رابع هو سد معونة قرب الأرحاضية جنوب المدينة^(١٠) ، خامس في وادي أظم^(١١).

وحتى نجد لم تكن لتخلو من هذه السدود^(١٢) . وقد وجدت لسدود بكثرة في جنوب الحجاز^(١٣) ، وفي أراضى قبائل هذيل

(١) moritz p, 27 . البكري ١٦٣ ياقوت ج ٣ ص ٥٦٤

(٢) moritz p, 27

(٣) نفس المصدر أيضاً البكري ١٦٢ ياقوت ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٤) moritz p, 27 . البكري ١٦٢ ياقوت ج ٢ ص ٢٤٩

(٥) moritz p, 27 . البلاذري فتح ، ١٠ ، ١٣ .

(٦) moritz p, 27 . ابن سعد ٢ ، ٢١ .

(٧) moritz p, 27 . ياقوت ج ١ ص ٣٠٥ .

(٨) moritz p, 27 . البكري ٢٠٥ ياقوت ج ٣ ص ٧٣٨

(٩) moritz p, 27

(١) البكري ١٦٧ ياقوت ج ١ ص ٨٦٠ ج ٢ ص ٨٥٥ . moritz p, 27

(٢) البكري ٢٠٧ ص ٢٨٧ moritz p, 28

(٣) moritz p, 26

(٤) moritz p, 26 . راجع أيضاً الفهرست لابن النديم

(الأوربية) ٢٦٩ . ص ٥٥ .

والحرات هي مناطق بركانية خمدت برا كينها وبقيت حمها وموادها التي كانت تغذفها ، وقد بردت منذ مدة قبل ظهور الإسلام ، إلا أن الدخان كان لا يزال يخرج من بعضها حتى في العصور الإسلامية . فقد ذكروا أن النيران كانت تخرج من حرة النار في جنوب شرق المدينة ، وكانت تشاهد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب^(١) . وتحدث الناس عن نشاط بركاني ظهر فجأة في الحرة الكبرى التي تقع على مقربة من المدينة سنة ١٢٥٦ م . وقد دام ذلك عدة أسابيع ، وذكروا أن حم هذه الحرة أخذت نسيل (Lave) وتزحف نحو المدينة حتى أصبحت على مسافة كيلو مترات قليلة من المدينة التي لم تنج منه إلا بمعجزة^(٢) .

ولم نعد نسمع بمحادثات بركانية مهمة منذ سنة ١٢٥٣ للميلاد في أكثر أنحاء شبه جزيرة العرب غير ما ذكرناه آنفاً . ففي هذه السنة حدث انفجار بركاني عظيم في منطقة عدن ثم خفت صوت البراكين منذ ذلك الحين ولم نعد نسمع بمحادثات حرات تخرب وتدمر كما كانت تفعل في السابق . ومعنى هذا أن تطوراً جيولوجياً عظيماً حدث في هذه المنطقة بدون شك^(٣) .

وقد بحث العلماء في طبيعة البلاد العربية من حيث الوجهة الجيولوجية ورأوا أن هذه البلاد قد جابهت عدة انقلابات وتطورات أرضية حدثت فيها منذ العصور الجيولوجية حتى الآن . ورأى الجوابون آثاراً صدفية ومحاراً في الربع الخالي استدلوا منه على أن هذه المنطقة كانت مغطاة بالمياه ويجوز أنها كانت تحت مياه البحر^(٤) .

وبنى المستشرقون على هذه الفرضيات العلمية نظرياتهم عن الأصل السامي وعن موطن الأصل السامي وهجرات الساميين . كما بحثوا عن موطن العرب الشماليين ، ووطنهم الأصلي هل كان

سياسية نشأت عن تضييق مركز الخلافة والثورات والانقلابات العسكرية الكثيرة التي كانت تدبرها الأسر الشريفة أو أصحاب القوة والبسطة من الأعاجم وأصحاب المساكر والأتباع . فلم يعد في وسع الحكومة الاهتمام بشؤون الزراعة والري وسائر الشؤون الأخرى . وقد تكون عوامل طبيعية وقتية أو طوارئ طبيعية فجائية سببت انحباس الأمطار وإلى غور المياه إلى الأبد . على كل فهمي كوارث مزعجة حولت تلك الأماكن المبتنة المأهولة إلى أماكن صحراوية رملية لا يمكن لأحد النزول بها لعدم ملائمتها لشروط الحياة^(٥) .

وقد خلقت هذه الكوارث الطبيعية والتقلبات الجيولوجية التي حدثت في الأزمنة التي سبقت الإسلام قصصاً مختلفة وحكايات توارثها الناس جيلاً بعد جيل عن هلاك تلك الأقوام وتبدل وجه المعمورة وتحول الأرض المأنوسة إلى أرض موحشة . وقد تردد صداها في الكتب العربية ؛ ففي كتب الأدب والتاريخ سيل من هذه الأخبار عن عاد وثمود وطسم وجديس ووبار^(٦) .

تكون الكوارث الطبيعية في بعض الأوقات على صورة انحباس مياه الأمطار مدة طويلة مقرونة برياح شديدة جافة حادة تحرق المزروعات ، وتجفف الأرض . وقد يعقب ذلك هزات أرضية لا تترك شيئاً في تلك البقعة التي تتحول عندئذ إلى صحراء جرداء^(٧) يتركها سكانها إلى منطقة أخرى تصلح للزراعة والرعى والبيش .

يقول المستشرق موريتس لا بد وأن تكون هنالك حقيقة تاريخية فيها يروى عن هلاك قوم عاد وثمود . فإذا ما عرفنا أن منطقة الحجر كانت منطقة ثمود ، وأن هذه المنطقة منطقة بركانية كثيراً ما كانت تنور وتلقى بحممها على ما جاورها وأن «الحرات» هي فوهات تلك البراكين وأما كن حمها عرفنا لم هلكت ثمود وزالت معظم آثارها من عالم الوجود^(٨) .

(١) moritz p, 13 الطبرى ج ١ ص ٢٩٨٢ (أوردية) .

(٢) Wustefeld, Oe. medina moritza p, 14 p, 18

ابن لياس ١ ، ٩١ .

(٣) moritz p, 14

(٤) راجع ما كتبه الرحالة الانكليزي برنام توماس . ودوني

وفاي وغيرهم عن وصف تربة جزيرة العرب .

(١) moritz p, 28

(٢) نفس المصدر ص ٢٨ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) moritz p, 28

والمران في شبه جزيرة العرب . وهو الذي حول الجزيرة العربية إلى صحار رملية لا تصلح للأنبات ولا للسكنى . وللجفاف عوامل مساعدة هي الشمس والتغير السريع في درجات الحرارة وهبوب الرياح وتبدل مجارى المياه^(١).

وقد بحث عن هذا العامل العالم المستشرق كيتانى فتوصل إلى هذه النتيجة ، وهي أن جو بلاد العرب قد تغير وتبدل ، ولما حل به الجفاف لم يمد في إمكان الإنسان ولا الأجسام الحية البقاء . فترك تلك الأراضي التي تحولت إلى صحراء مقفرة^(٢) . والظاهر أن جو بلاد العرب كان مشبعاً في الأزمنة القديمة التي سبقت الإسلام بالرطوبة وكانت الأرض مخصبة منتبتة لوجود المياه ثم جف الجو وتوسعت منطقة الجفاف هذه وارتحل عنها السكان^(٣).

مبارك علي

(١) نفس المصدر ص ٣٢ .

(٢) Leonid coetani annali 11 l'arabia nello storia del

movdo 16 Jan 1907 Becker vol 1 p,291

(٣) moritz p, 36 .

في اليمن أو في شمال اليمن ، وهل كانت الكوارث الطبيعية هي العوامل الأساسية في الهجرة أو عوامل أخرى^(١).

تحدث الكتب عن حادثة انفجار سد مأرب وكيف أن هذا الانفجار سبب جفاف منطقة كبيرة من أرض اليمن كانت تنفذ منه . وكيف تمزق الناس أيدي سباً وكيف هاجرت القبائل من الجنوب نحو الشمال .

وقد أدى ذلك الجفاف والتحول إلى نبدى القبائل المستقرة وتنقلها من مكان إلى مكان على سنة الأعراب . وهي ظاهرة تحدث كثيراً في شبه الجزيرة ، فتنتقل على أثرها العشائر المتحضرة إلى البادية حيث تتخذ عيشة البدو الرحل . وقد حدث مثل هذا التطور في المصور الإسلامية أيضاً ولاسيما في الأوقات التي تردت فيها الحالة السياسية وضعف فيها نفوذ الحكومة فلم يمد في إمكانها صيانة الأمن ولا السيطرة على النظم الاقتصادية ؛ فكانت القبائل المتحضرة أو النصف متحضرة تضطر لحماية نفسها إلى الالتجاء إلى الصحراء حيث لا تصل إليها الهيب الحروب السياسية والثورات وحيث لا تضطر إلى الاشتراك في حروب لا نفع لها منها ولا ضرر .

ويشاهد السواح في الوقت الحاضر آثار بيوت ومنازل في أمكنة قاحلة رملية لا يمكن أن يستقر بها الإنسان في مثل هذه الظروف بأى حال من الأحوال . وقد كانت مأهولة فيما مضى كما يظهر ذلك من هذه الآثار . فكيف حل فيها هذا الخراب وحولها هذا التحول !

وفي المصادر اليونانية أسماء مدن وقرى رآها الكتبة اليونانيون وحلوا بها وقد أعجب بها هؤلاء . إلا أنها اندثرت فيما بعد ولم يبق منها أى أثر حتى عند ظهور الرسول الكريم . وفي المصادر العربية مثل هذه الأسماء أيضاً زالت من عالم الوجود . وقد أنشأ المسلمون عدداً من المدن والقرى لم يبق منها اليوم أى أثر . وقد حدث مثل هذا الحادث في المصور الحديثة كذلك^(٢). إن الجفاف هو أعظم عدو هدد البلاد العربية وحارب الحضارة

(١) راجع أبحاث المستشرقين في الهجرة مثل غويدى وكيتانى ويكر راجع أيضاً المقتطف ج ٢ مجلد ١٠٥ تاريخ بولية ١٩٤٤ ص ١٢١ .
(٢) كما جرت في تبوك عام ١٨٨١ م راجع moritz p, 30

أحمد

يعلن مجلس مديرية الشرقية عن حاجته إلى معلمين من الخاصلين على شهادة الكفاءة للتعليم الأولى أو الشهادة الثانوية قسم ثان من الأزهر الشريف . وتقدم الطلبات على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح مصحوبة بالزهر الدرسي وشهادة الميلاد وصورتين فوتوغرافيتين مقاس ٩×٦ سم موقفاً عليهما منه وقد تحدد يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٦ آخر ميعاد لتقديم الطلبات .

٥٠٤٩

الأدب في سيرة أرواح:

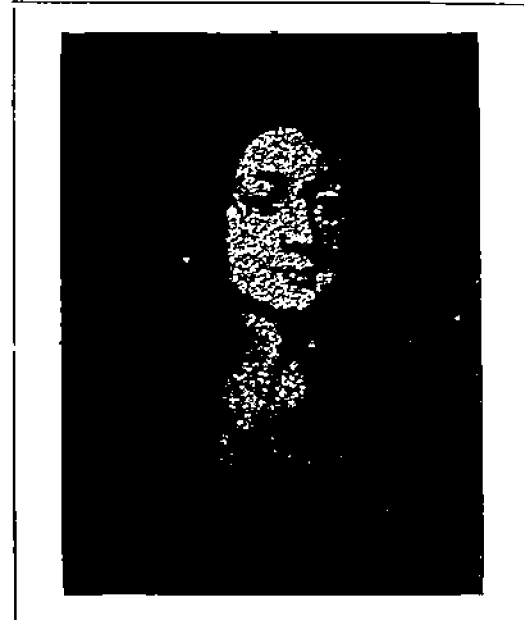
ملتين...

[الفيتارة الخالدة التي غنت أرواح
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٥ —

—>>><<<—



سنت بول ؛ وإنه ليفضى إلى ديوداتي أنه جد سعيد بأبعاده عن
كبرج فها يطيب بها المقام لهط أبولو ؛ وأنه يستمتع بفراغه
فينشى السارج كثيراً ، ويقرأ من الكتب ما يحب غير مقيد
بقيود تشابل ؛ وأنه يسرح الطرف في شوارع المدينة إذ ينزعها
جينة وذهاها ، ويمد عينيه إلى حسان لندن وقد كُحن له بعد أيامه
الجافة في كبرج أرواح مما كن حسناً وأشد فتنة ، حتى إنه
ليرى من الحكمة أن يبادر بالرحيل قبل أن تمسه جراح كيوييد .
وتكشف لنا رسائله المنظومة والنثورة إلى صاحبه عن بعض
نوازع نفسه ، فهو يحب المسرح ويكثر غشيانه ؛ ولن يفعل ذلك
مترمت يرى من أدلة الاستقامة أن يحرم على نفسه زينة الله التي
أخرج له باده ؛ وهو يمد عينيه إلى القيد ولكنه هنا يخشى الفواية
فيطلب النجاة ؛ وكان حرياً أن يقع في حبالهن وأن يقن في حباله
بما توفر له من الجمال والوجاهة وأناقاة اللبس ورشاقة الجسم ،
ولكنه حريص على عفته متمسك بطهره ، تهو إلى الجمال وروحه
إلا أنه يخلق ويأبى أن يرد ...

وعاد ملتن إلى الكلية ، وقد انقضى أمر النقي ؛ ولكنه
لم يمد إلى تشابل فقد نقل إلى غيره ، وهو إجراء له مقزاه ،
إذ لم يكن مثل هذا النقل بالعمل المعتاد في تلك الأيام ، ومنه
يفهم أن القاعين على أمر الكلية يحملون تشابل شيئاً من اللوم .
ولم يفل النقي حديثه ولا أوهم نشاطه ولا أذل كبريائه ؛
وعادت نفسه الحرة تنشد الإصلاح ، وانطلق لسانه النصيح يندد
بما يرى من عيوب أيا كان أصحابها ؛ فلا تنقطع له شكوى ،
ولا يفتر له نقد .

ونال أقرانه شيء غير قليل من نقده ؛ وكانوا أحرأه إلا قليلاً
منهم ، إلا يرتاحوا إليه ، وإن أعجبهم كثير من خصاله وراقهم
شخصه ، فإن تمسكه بالفضيلة وتشدده في الطهر والمغة هو في ذاته
تأنيب صامت لما يظهرون من نقائص ، ناهيك بما يقول في كل
فرصة ، وبما يرسله كل آونة من عبارات الحكم أو نظرات
الازدراء . وقف يخاطب ذات مرة فقال « كيف أمل أن أجز
فيكم الرغبة إلى الخير وأنا أرى في حفل عظيم كهذا الحفل وجوهاً
تنطق بالمداوة بكاد يبلغ عددها عدد ما هنا من رؤوس » .

وكان جزاؤه على ذلك السنت من الكثير من طلاب الكلية ،
فأخذوا على طريقة الطلاب يماثونه ويهوشون عليه ويلامونه
أبنا تكلم بشغبهم وزباطهم ، ويسخرون منه كما سخر منهم ،
وجعلوا عفته موضعاً لاستهزائهم به ، وكانوا قد أطلقوا عليه من

وكان تشابل عنيداً ضيق الصدر ، وكانت وظيفته تقتضيه
ألا يتساهل فيما كلفته به إدارة الكلية ، ولم يكن في وسنه أن
يتقاضى عن تمر ذلك الطالب ولا تعرض لمؤاخذة القاعين بالأمر ،
فما يحب هؤلاء أن تشيع المدوى في بقية الطلاب ؛ لهذا لم يكن
بد من معاقبة جون ملتن على ذلك رادعاً له وعبرة لغيره .

وعوقب الفتى بأبعاده من الكلية إلى حين ؛ وقيل إنه
عوقب بالضرب إلى جانب ذلك ، وإن كان أكثر المترجمين له
ينكرون ذلك أو يستبعدونه ؛ على أن الضرب في ذاته يومئذ كان
أمرأ يقع في الكلية ، فلم تكن العقوبة البدنية محرمة حتى
في الكلية .

وقضى ملتن فترة النقي في لندن غير آبه بما حدث ؛ يظهر
في كل حين عدم مبالائه ، فلن نال منه قسوة مدرس يتجنى عليه ،
كما ذكر في بعض رسائله إلى « ديوداتي » أحد خلانه في مدرسة

دخلت من الأوصار، واتصلت في كل متجه بالمثل الأعلى لا تتخلف
قط عنه ، أو على حد تبينه يبنى أن يكون هو قصيدة سامية .
ولقد نجح ملتن نجاحا عظيما في ضبط نفسه وكبح جماحها ،
على الرغم من توقد عاطفته وشاعرية روحه ، وتفهمه أسرار الجلال ،
وتغلبته إلى موطن الفتنة في دنيا الطبيعة وفي دنيا الناس ، هذا
إلى ما اتصف به من فراهة الجلال وروعة الشباب ؛ ولذلك فإن
سيطرته على نفسه مع هذا أعظم من أن تكون نجاحا ، فأنها
تشبه أن تكون معجزة .

وحق لهذا الشاب أن يفخر بقهر نفسه ، أو على الأصح بقهر
شهوات نفسه ، فقد أطلق نفسه على سجيته بعد إذ جنبها مزالقي
الضلال ومهاوى الفتنة لتنتقل حرة في مسارج الجلال ومواطن
الراى ...

وكان ملتن يؤمن بأن من يسمو بنفسه لا بد أن تواتيه قوة
خارقة على التعبير عما يريد من معاني السمو ، وبقدر ما يكون
من طهر نفسه يكون ما يتوافق له من البيان فيما ينهض لبلوغه
من معارج القول

وإلى جانب ذلك كأن ملتن كثير الذهاب بنفسه ، يعتقد
أنه فوق غيره في الذكاء والعلم ، يتداخله منذ صغره شعور قوى
بتفوقه وإتيازه ، وهو نوع من الاعتداد بالنفس حرى أن يسمى
الكبرياء العقلية ، جعل ملتن الشاعر الشاب يؤمن بفكرة هي
تغليب العقل على العاطفة ، وهذه هي الحكمة ، ثم يأخذ نفسه
من غير هوادة بما تقتضيه منه الفكرة ، فلا ينتقاد لمواطنه كبا
يعيش حكما معتصما بالزهد والمعة

وإنه ليعتقد أنه خلق لمظيمة من العظام في دنيا الشعر ،
وأن الزمن يهينه فيزله عن الناس ويرفعه فوقهم درجات
ليتسنى له أن يأتي بما لا يستطيعون أن يأتوا به ، وكأن ولوعه
بالأدب وشفقه بالبيان وأستمساكه بالفضيلة ، كل ذلك إرهاب
يكون بعده الإعجاز !

ولم تصرف ملتن عنايته بالأدب والشعر عما فرضت عليه
الكلية من دروس . كذلك لم تصرفه عنها كراهته إياها ودعوته
القائمين بالأمر إلى إصلاحها ، وتوجيه الطاعن إليها ، فهي أمر
لا بد منه إذا شاء أن يظهر بالأجازة الجامعية ؛ وهو منذ صغره
دؤوب على العمل صبور جليد ، فابنوه أليوم بأن يجمع بين
دروسه الرسمية ومتعة نفسه من الأدب والشعر وغيرهما مما لا يدخل
في محيط الدروس المقررة .

قبل اسم « السيدة » لما رأوا من رفته وظرفه ودمايته ، فأخذوا
الآن يمدون هذه التسمية في موضع الأعنان والاستهزاء ، فإذا
سأل أحدهم صاحبه عنه قال هل رأيت سيدة الكاية ، أو هل رأيت
سيدة كريست ، ويقصدون أن يسموه هذا وهو على مقربة منهم
لينظوه ، فيكظم غيظه ويحاول أن ينيظهم بترفعه عنهم
وازدراؤه إياهم .

ولم يابه ملتن بما يقولون ؛ ففيه على رقة حاشيته صبر على
النضال ، يلذ له الأذى في سبيل إعلان رأيه والدفاع عن مبدئه ،
ولذلك نراه ينهض ذات مرة خطيبا ، فيشير في خطابه إلى هذه
التسمية ، فيقول متحكما إنه يعتقد أن ليس مردها إلى حسن
وجهه وقصر قامته وجمال هيكله فحسب ، ولكن إلى طهره
كذلك ورقة حاشيته ودمايته وحسن سلوكه ؛ ثم يتساءل في
ازدراء عما إذا كان يقصر اسم الرجولة على من كانت لهم القدرة
أن يعبوا أقداحا كبيرة من الخمر ، أو على الفلاحين الذين غلظت
أيديهم وجدت من أثر المحراث ، أو على من يبرهنون على رجولتهم
بالبريدة والنجور والفسوق ؟ ... ويستخذى الجميع أمام حماسه
وشجاعته ورباطة جأشه .

ولا يفوته أن يقارن بين نفسه وبين من انهموا قبله من
النابيين الأعلام بمثل ما انهم به ، قائلا إن ديموستين نفسه لم ينج
من اتهام أعدائه إياه بالنقص في رجولته !

والحق أن مرده هذه التسمية لم يكن إلى ضعف فيه ولا إلى
خور ، فقد كان منذ يقافته شجاع القلب والراى ، وسوف يقيم
الدليل في مستقبل أيامه على أنه ساحل القلم يوما أشجع منه ؛ وكان
في الكلية لا يهمل المرات على استعمال سيفه يوما ؛ وكان لا يرهب
التحدى ، ولا يحب أن يمانع ذا غاظة أو يتواضع لذى كبرة ،
وإن كان في غير ذلك من المواقف جم الأدب منموق الوداعة ...
وما سماه أقرانه هذا الاسم أول الأمر إلا لأنهم أساءوا فهم
وداعته ورقة حاشيته ، ثم عادوا يرددونه رغبة منهم في إغاظته
وإماعنا في إعنائه ، ولا يجد الشباب عادة في الزراية على من
لا يتابعهم إلى ما يحبون من العبث واللغو الخشن أنكى من
نفته بالأنوثة .

وكان مرده عفته واعتصامه بالفضيلة إلى معنى طريف يضاف
إلى وازع الدين وداعى الخلق ؛ وذلك أنه كان يرى أن الشاعر
الذى يعد نفسه لرسالة سامية ، ينبغي قبل كل شيء أن يكون
أهلا لما يستشرق له ، ولأن يكون لذلك أهلا إلا إذا سمت نفسه

إلى الميثولوجيا الإغريقية والمسيحية ، يكثر من ذكر الآلهة ؛ وهو يأتي بالصفة تنداعى بها إلى ذهن الماني المتصلة بما يصف في قوة ومهارة ، فتوحى بذلك الآيات القليلة معاني كثيرة ، بل لقد يحمل للكلمة الواحدة معنى واسماً بما يسبقها أو يلحقها به من الكلام ، فيرمز للموت هنا مثلاً بالشتاء ، وقد ناجى الطفلة في ميسهل القصيدة باسم زهرة من أشهر زهرات الربيع يكتفى النطق بها لتذكر الأنفس الربيع وموسمه الحافل ؛ ثم يمود فيتحدث عن الطفلة كأنها ملاك عاد إلى أفقه ، وقد اتخذ صورة الإنسان لحظة ، ليُرى الناس كيف يحتفرون هذه الأرض ، وكيف تهفو إلى السماوات أرواحهم ، ويسأل أمها تبعاً لذلك ألا تحزن ، فما فقدت شيئاً ... !

وبعد ذلك بسنتين ينظم باللاتينية أولى غرامياته ، وفيها يذكر أن عينيه وقمتا في سرب من حسان لندن على فتاة استأثرت بلبه ونفذت نظرتها إلى أعماق قلبه ... فتاة هي فينوس حسناً وشكلاً ... وسرعان ما جرحه كيويدها في ألف موضع من جسمه ... ثم غابت عن بصره وتولت وقد شغفته حباً ... فأحس كأنه يحترق وكأن الالهة يحتويه ... ولم يرها بعد ذلك أبداً ، وأصبح بعدها كغيره من العشاق ينغم بشقاء حلو !

وأردف هذه القصيدة بأخرى لاتينية غرامية كذلك يصف فيها الحب ، ولا يشير فيها إلى موقف بينه كما فعل في سالفها ، ولكن ... إلى الهوى وأسقامه وأحلامه ...

ومحرص ملتن دائماً أن يسمو بحبه ، فأنتم كلامه ولا إشاراته عما يستهجن من قول أو فعل ، وما يصدر عن مثله إلا كل سام نبيل ، وقد جعل سمو النفس وطهرها كما رأينا وسيلة إلى سمو التعبير ؛ على أنه يفصح أحياناً عما يظهره أنه يحس شيئاً من الرح إذ يصف هيام الحب وأحلامه ومتعه ؛ ولعله أراد بذلك أن يوحى إلى لداته أنه يتخفف من تزمته ، أو مما يأخذونه على أنه تزمته منه ، وما هو فيها يرى إلا التوقر والاحتشام والجد ؛ ولقد أشار في بعض خطبه إلى شيء من هذا ، فظهر بأنه اليوم يحبذ المرح والسرور ، وإن كان قصير الباع في التندر والمفاكهة ، ولعله كذلك يحد في هذا المرح الذي يصف والذي يحبذ ، وفي هذا الحب الذي يصوغ الحانة ، ما يرد به على من أطلقوا عليه ذلك الإسم السخيف الذي ضايقه بعض الثقلاء به !

المحبف

(يتبع)

ويشهد أكثر القارئ على أمر الكلية أنه طالب مجد في عمله ، نشط في طلب المزيد من العلم ، يحب أن يحيط بما يدرس إحاطة تامة ، ولولا نزعة الاستقلالية ونفوره من القيود ورغبته أن يختار الوقت الذي يجب لينجز ما كلف من عمل ، ما شكك منه أحد ، ولا كان بينه وبين تشايل عريفه الأول ما كان من شحناه ونابذ .

ولم يتخلف ملتن عن أقرانه على الرغم من فترة إبعاده عن الكلية ، فحصل عند نهاية الأجل المقرر للدراسة الأولى على درجته العلمية الأولى ، وكان اللاهوت هو العلم الأساسي الذي اختار من أول الأمر أن يمتحن فيه ، ويحصل على درجته ، فدرسه ودرس ما يتصل به أو يتفرع منه من معرفة .

ولئن درس اللاهوت على عسره دراسة جد ، واستوعب ما يحيط به ، فإن قلبه كان يجد العزاء في مجال آخر محب إليه ، وأى مجال أحب إليه من الشعر وأنشائه وأحلامه ؟ وهل يشغله عنه شاغل مهماجل ، وهو من افتن به وطن أنه خلق له منذ سن المائسة ؟ لذلك كان يعمد إلى قيثارته يغنى عليها أناشيده كلها نفث من اللاهوت يده !

ففي أول سنة له في الكلية ، وقد دخل في سنته الثامنة عشرة ، نظم الفتى باللاتينية — أول ما نظم — قصائد ست ، ثم نظم واحدة بالإنجليزية ، ولعله اختار اللاتينية لأنها لغة أوفيد ، وهو به متعلق مشغوف منذ صغره ؛ وكانت معظم أشعاره اللاتينية مرأتى في مناسبات على نحو ما يفعل عادة من يستطيع النظم من الطلاب ؛ ولكن طموح ملتن وثقته في نفسه ألقيا في روعه أنه شاعر حقاً ، وأنه لا يتكلف النظم كما يتكلفه غيره ، وأنه ما يسطر على القرطاس شيئاً إلا استحق أن يمش وأن يشيع في الأدباء ! ولكن الذين كتبوا تاريخ حياته ، ممن لهم علم باللاتينية ، يرون التقليد في هذه الباكورة يفلب على الأصالة . وكان ملتن يقلد أوفيد ، وقد أجمه بقلبه وخياله إليه ، كما يصنع الأفراخ النواهض من الشعراء أن يتأثر كل منهم في صدر شبابه بواحد ممن خلقوا قبلهم في سماء الشعر !

وكانت القصيدة الإنجليزية كذلك مرثية بكى بها الشاعر الشاب طفلة من ذوى قرباه ، وعنوانها « في موت طفلة جميلة أودت بها سملة » . ونلس في هذه المرثية خصائص ملتن الأولى في الشعر : فوسيقاه حلوة ، وألفاظه تنساب في يسر وإشراق ، وإن لها في السمع لجرساً ساحراً جميلاً ... وهو كثير الإشارة

فلسطينيات :

أولجا رومانوف

للأستاذ نجاتي صدقي

—»»»«««—

يرفها الناس باسم « السيدة السكوبية » ، وهي تجيد خمس لغات أوربية ، كما أنها تتحدث قليلا بالمرية العامية ، وبمعجها أن تعرب عن أفكارها أحيانا باللفظ العربي الفصيح فتقول مثلا : « ينال على ظني أن الأمر كذا وكذا » و « ثق يا عزيزي بأنني متمسكة برأيي » ، و « أجل » ، و « ربما » ...

والسيدة السكوبية هذه تقع في حدود الخمسين من عمرها ، قصيرة القامة ، نحيفة الجسم ، عظيمة الهيئة ، مجمدة الوجه ، غائرة العينين ، مصفرة الأسنان ، وبعضها قد نخره السوس ، لكنها تحتفظ بشعر أشقر طويل تضفره وتمقده حول رأسها ، وهي تحاول دائما أن تكون ضحكة لموبا ، مبالغة إلى تقليد الفتيات الثافات الطارقات حديثا أبواب الحياة ...

وتسكن هذه السيدة في دير الأرذ الواقع بين منعطفات المرحلة الثالثة من طريق الآلام في مدينة القدس القديمة ... وعرفتها على قدرها ، طولها أربعة أمتار ، وعرضها متران ، ويتألف أثاثها من سرير مفرد ، يستند إلى قوائم أربع ، إلا أن فراشه يقبل الأرض ! وخزانة ضيقة عتيقة عرجاء ، تقف في الزاوية كما يقف المسكين مستعظيا ... ومائدة صغيرة تستعمل لكل شيء : للطبخ والأكل والزينة ، فقدت سوداء براقة لاختلاط دهانها بالزيت التي تنساب عليها من الصحائف والملاعق ، وبساطا « موزايكا » حيك من مختلف الشرط البالية ، وصورة علفت على الحائط تمثل « الخيفر » راكبا على فرسه وهو يلثم التين رأس حربته ... والأبسة وقبمات نشرت على مشجب خشبي ... أما باب الغرفة ، فقد دقت فيه من الداخل مسامير صغيرة تستعمل لتعليق بعض المناشف وأوائل منزلية أخرى ... وألصقت عليه من الخارج رقعة كتب عليها : « أولجا نيقولا يفنا رومانوفا »

وتدعى السيدة السكوبية بأنها متعندة من آل رومانوف

قباصرة روسيا ، وأن « الدهر الخوون » طوَّح بها إلى بلاد العرب ، وأنها فقدت زوجها ، ولم تنجب منه أولادا ، فتفرغت للمبادة والخدمة في الصليب الأحمر ، وهي تعتقد أن لها « صلات قدسية » مع بعض القديسين ، وبوسعها أن تكون وسيطة فيما بينهم وبين قاصديهم من طلاب الحاجات .

والسيدة السكوبية جيران يشفقون عليها فيمدونها بين حين وآخر بما تيسر من حواضر البيت ، وتعتنق هي الفرص في كثير من الأحيان فتقف عند باب غرفة جارها وتناديه ، فإن كان داخلها ورد عليها سأله :

— هل لي أن أعرف الوقت الآن ؟

وإن كان خارجها دفت الباب صارخة :

— ما بك يا جاري ... عساك بخير ؟ فإن لم تجد في الترفة أحداً تناولت شيئا ، وانسجبت على عجل !

وفي أحد أيام شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٣ حلَّ في الدير ضابط بولوني اسمه « يوزيك غروزني » مروح من الجيش لعدم صلاحيته للخدمة العسكرية ، واستأجر غرفة في الطابق الأسفل من الدير ، وكان متاعه ما جلبه معه من الجيش من سرير عسكري وأحزمة وألبسة وأدوات أكل ...

وهنا تبدأ القصة :

فبينما كان يوزيك مستلقيا على سرير ذات مساء ، يستعرض بحرقة وألم الأيام العصيبة التي مرت به منذ أن فر من بولونيا ، حتى اشتراكه في معارك ليبيا ووقوعه جريحاً ، وإحالاته إلى هذا الدير عاطلا ، إذ به يلح امرأة تقف عند نافذة غرفته وهي تبسم له وتقول بالبولونية :

— حضرتك جارنا الجديد ؟

— نعم !

— أنت جندي ؟

— أجل ، ومرحت لمطل في ساق

— ومن أية بلدة بولونية أنت ؟

— من لودز

— أحقا أنت من لودز ؟ يا لغريب المصادفات ! إنني قضيت

شظرا من شبابي في هذه المدينة الجميلة !

— وحضرتك ما اسمك؟ ومن أين؟

— أنا أولجا نيقولا يفنا رومانوفا! (ورفعت رأسها إلى السماء قليلاً) إن الدم الأزرق يجري في عروقي، دم آل رومانوف! فانتفض يوزيك في سريره وانتصب واقفاً وهو يحدق النظر بـ «الأميرة» المشردة، وكان ينتابه عاملان خفيان: عامل السكره للروض، وعامل الحاجة إلى المونة. يود أن يصرخ في وجه «سليقة» آل رومانوف، ويسمها قارص الكلام في حق أبيها وعمها والحاشية القيصريّة كلها، لكنه أحس أنه أصبح من مساكين هذا الدير، وهو في ميس الحاجة إلى من يساعدّه ويواسيه، وعليه أن يكون سمحاً متواضعاً، فخرج إلى حيث تقف السيدة المسكوبة، وقرع قدمه اليمنى بقدمه اليسرى، وحيّاها بإصبعيه التحية السكرية البولونية، ثم انحنى على يدها وطبع عليها قبلة رشيقة!

وتواتل الزيارات فيما بعد بين يوزيك وأولجا، فكانت هي تدعوه إلى شرب الشاي عندها، وكان هو يشتري لها بعض الهدايا من الماش الذي يتقاضاه من الوكالة البولونية. وهكذا توطدت أواصر الصداقة فيما بينهما، وشمر بالدفء إلى جانب بعضهما... وفي ليلة كانا يقادلان فيها انتخاب الفودكا، فاتحها يوزيك بالزواج، فأسبلت عينها خجلاً ونمتت قائلة: «حقاً إنك لعفريت يا يوزيك... أيتزوج عملاق لم يبلغ الأربعين من امرأة ضعيفة قد ناهزت الحسین؟!!

قال: ولم لا؟ الحب يا سيدتي لا يقر بمجد للأعمار، ولا يمتزج بالسمن أو الهزال... الحب هو تبادل العاطفة الشبوبة بين نفسين متجانستين متفاهمتين...

قالت: ألمحبنى إذن؟

قال: فلتشهد السماء على حيّ لك... ولتشرب نخب الحب والزواج...

ولم تمض أيام على هذا الحديث حتى عرف كل من في الدير أن أولجا أصبحت زوجة ليوزيك، وأنهما سميدان في زواجهما هذا. ومن مظاهر هذه السمادة أنهما كانا دائماً متطويان على نفسيهما في غرفة أولجا، يشربان الشاي نهائراً، والفودكا ليلاً، ويدخنان وبتأجنان ويقهقهان عالياً، ويمربدان أحياناً بصورة

تقلق راحة الجيران، إلا أن هؤلاء كانوا يتساعون مع المروءة الجديدتين، وبغضون الطرف عما يبدأنه في الدير من طيش نا عن انفعالات النفس والعاطفة...

وحدث في منتصف الليلة الثانية من الشهر الثاني لزو يوزيك بأولجا أن هبّ سكان الدير مذعورين على صراخ عنيف وقرع شديد على باب المر المؤدى إلى الغرف، وسمعوا أولجا تكة الباب والشتائم ليوزيك، فتقول له: — اذهب أيها السك إلى غرفتك... إنني آويتك وأحسنت إليك... اذهب! التشرّد... وكان يوزيك يحميها: لقد سرقني يا فاعلة! وكذا... والله لأبطشن بك... واحتدم الجدل فيما بينهما وذهب يوزيك باب المر، ثم اقتحم غرفة أولجا ولصقها على عينيها كقوة تركت حولها هالة زرقاء، فاستنجدت بالجيران، ولكن أحداً منهم لم يجرؤ على التدخل، فاستنجدت مرة أخرى بألمحي، فجاءها الحراس واعتقلوا يوزيك، واقتادوه إلى دار الشرطة حيث حرر الضابط المسئول محضراً، وكانت أرم هي المدعية والشاهدة، فقالت في إفادتها: «لقد حطم زو الأبواب وضربني، فأنني أطلب له أقصى درجات العقوبة» ولما عادت إلى بيتها وسكنت إلى نفسها أخذ ضميرها يؤنب فراحت تبكي وتنتحب وتتساءل قائلة: — «رباه! من الاسبب لزواجي الاعتقال غيّر؟... ومن الذي أسكره، ومرة وقاده إلى سطح الدير سوى؟»

يبدو أن الإنسان مهما انحطت أخلاقه وفسدت، و تدهور إلى مصاف الأسافل وتخبط في حضيض الحياة، يظل حاملاً في نفسه القليل من الكرامة، واليسير من المنويات فتراه إذا ما هزته مساوئه يشوب إلى رشده، ولو إلى حد فيذكر أنه لا زال ينتمي إلى بني الإنسان، وأن ما يقوم به أعمال شريرة لأمر يناقض الأنظمة العامة التي اتفق عليها الناس يخالف الطبيعة البشرية على الجملّة.

وهكذا أحست أولجا بما ملخى يدها لأن تصف يوزيك ضاقت للتوّ إلى دائرة الشرطة وقالت للضابط المسئول: — أدخل بعض توضيحات في إفادتي.

فقال — وما هي؟ ...

وأيضاً، تهجم على التخطئة!

الأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أخى البصام :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فيخيل إلى - والله أعلم -
بك رجل واسع المعرفة ، مغرّى بالتحصيل ، دقيق البصر ، تطلب
لكلام وإسناده ووجهه ومكانه وضوابطه . وحسب طالب المعرفة
أن يكون كذلك .

وقد طالع على مقالك فى الرسالة ، فما أدرى والله من أى
مريبك أعجب ؟ من واسع معرفتك ، أم من حسن تهديك إلى
بواطن الشبهة فى كلامى . أم لى أعجب من استجلابك للحجة
بعد الحجة فى تخطئة شئ . كان الناس فى غنى وراحة عن اضطرابهم
بن سوابه وخطئه ؟

ونختصر القول هو أنك تريد أن تقول إن الكتاب ينبئ
ن يبدأ كما بدىء فى بعض كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب أصحابه بقولك : « سلام عليك » فإذا كان الختام قيل :

« والسلام عليك » ، وأن من بدأ الكتاب بقوله : « السلام
عليك » فقد أخطأ . أفهذا شئ من أدب الكتابة واتباع السنة
وحسب ، أم هو قاعدة توجب الاتباع نحواً ولغة ورواية ، فيكون
من بدأ بقوله : « السلام عليك » مرفأً فقد أخطأ فى حق النحو
واللغة والرواية ؟ وكلامك كله يدل على أن البدء بالسلام المعروف
خطأ من قبل النحو واللغة والرواية . أليس كذلك ؟

فإذا كان ذلك كذلك ، فقد رويت لك قول صاحب اللسان
فى مادة (سلم) : « ويقال السلام عليكم ، وسلام عليكم ،
وسلام يحذف عليكم » ، وهذا ولا ريب قول اللغة والرواية والنحو
فيما رواه لنا الرواة ، فى تحديد بدء السلام (الذى هو التحية) :
هذه واحدة .

ثم ذكرت لك قول الأخفش الذى رددته على ، وقلت إنه
لا يستدبه (هكذا) ، لأنى لم أذكر مصدره الذى نقلت عنه ، وفيه
تصريح بين كتصريح صاحب اللسان ، ثم زاد فأظهرنا على الالة
فقال إن « سلام عليكم » حذفت منه الزيادة (وهى الألف واللام)
كما يحذف الحرف الذى هو من أصل الكلمة فى قولنا : (لم يك) .
وعلة أخرى هى أنه لما كثر استعمال « السلام عليك » بالألف
واللام حذفوا لكثرة الاستعمال . وهذا تقرير يدل على أن اللغة

قالت : وإننى لأقر بأن زوجى لم يقصد من تحطيم الأبواب
لحاق الأذى بى ، أو المبت بحوائجى ، وإنه فعل ذلك وهو تحت
تحت تأثير الحمر فقط ، وأما اللكمة التى أصابتنى منه فقد
كانت عفواً ...

وبالرغم من هذا التوضيح فى الإفادة حكم على يوزيك بالسجن
سبعين ، وفى السجن قص على زملائه قصته فقال فيما قاله :
« ... وكان من عادة زوجتى إذا ما وجدتنى تملا أن تفتش
بيوتى ، وتأخذ ما تجده فيها من مال . وحدث مرة أن قبضت
بماشى وجئت البيت ، فوجدتها قد أعدت لى زجاجة كبيرة من
لفودكا فأنيت عليها . ولما لبست الحمر برأسى قالت لى : « هيا
منى قلبى لتتزه فى ضوء القمر ! » . فقممت أترنخ مستنداً إلى
أرأعها ، وانقادتنى إلى حيث أرادت . ولا أذكر كيف أفقت
وجدتنى ملق على السطح فتفتقدت تماشى فلم أجده ... فأدركت
لحال أن « الأميرة » سرقتنى .

فقال أحد الساجين : - ماذا تقول ... أميرة ؟ ...
فأجاب يوزيك : - أجل ، تدعى زوجتى أنها من سلالة
آل رومانوف ! ...

فقال سجين آخر : - ومن تكون زوجتك إذن ؟
قال : - ليست زوجتى سوى امرأة مقامرة فى حياتها .
فرت من روسيا إبان الحرب الأهلية ، ثم قامت بأعمال مظلمة هنا
وهناك ، وتجمولت بين تركيا والبلقان وعمان ! ... وهما هى اليوم
تبارك الناس فى النهار وتسطو على فى الليل .
ولما خرج يوزيك من السجن كانت أولجا تنتظره ، فتصافحا
وتماقنا ، وعادا إلى مسكنهما سوية ، وكانت هى قد أعدت له كمكا
وشايا ، فجلسا إلى المائدة ، ودار بينهما حديث عتاب . وحديث
آخر عن الإنسان وحظوظه الماثرة ...

نجماني صرني

وقد جاء منكراً وهو أول ، وكان حقه أن يأتي في الآخر منكراً مرفوعاً كما جاء في الأول فقال لك : « لأن الشيء إذا بدى ، يذكره كان نكرة ، فإذا أعدته صار معرفة ، وكذا كل شيء . » تقول : مر بنا رجل ، ثم تقول : رأيت الرجل قد رجع ، فكذلك لما صرت إلى آخر الكتاب ، وقد جرى في أوله ذكر السلام عرفته أنه ذلك السلام المتقدم ، « ويريد أن يقول إن التعريف هنا « للمهد لا للجنس » . هذا كل ما في كلام الرجل ، لم يوجب شيئاً ولم يمنع شيئاً .

وأما الآية التي في سورة مريم من قول عيسى عليه السلام : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ... » ، وما جاء من قول الزمخشري فيها : « قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله » يعني في قول الله تعالى ليحيى : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ... » فذلك تفسير من الزمخشري لمعنى (ال) في قول من قال إن التعريف هنا للمهد . وأبي الزمخشري أن يكون كذلك لأن المهد ههنا باطل عنده ، فالسلام المذكور في قصة يحيى كان من قول الله سبحانه قبل مولد عيسى ، وهو آت في أول السورة في الآية (١٥) ، ثم مضى بعدها « واذكر في الكتاب مريم » وذكر الله سبحانه قصتها ، حتى أنقضت إلى كلام عيسى وهو في المهد إذ قال : « والسلام على يوم ولدت ... » في الآية (٣٣) ، فبين السلام الأول والثاني (١) انقطاع في المدة (٢) وانقطاع في السرد (٣) واختلاف في مبتدئ السلام وملقيه ، فالأول من الله والثاني من عيسى . هذا وسلام عيسى في الآية الثانية المرفوع فيها السلام ، ابتداء ولا ريب .

ومن أجل ذلك ذهب الزمخشري إلى أن التعريف ههنا للجنس لا للمهد (وهذا كما ترى يخالف كل المخالفة ما أراد ابن قتيبة في كلامه) . ثم ذكر الزمخشري نكتة البلاغة في التعريف فقال إن تعريف الجنس هو الصحيح لا تعريف المهد « ليكون ذلك ترميضاً باللعنة على من همى مريم وعلى أعدائها من اليهود » . وهذا عندي تحليل ضعيف جداً من الشيخ رضى الله عنه ، وكان خليقاً به أن يصرف عنه وجهه . ولولا أنه كان مولماً بنكت البلاغة لما وقع في مثل ما وقع فيه . وإن شئت أن تردد أقبحاً ومبرقاً ، قلت فقرأ تفسير الشهاب الخفاجي والألوسي والقنوي وأبا حيان

والنحو والرواية تجمل الأصل في السلام البدوء به هو التعريف . فإن شئت أن تعرف أن وقع هذا الكلام عن الأخفش فاطلبه في ص ١٥٢ ج ١ من كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووي وفي غيره أيضاً . هذه ثانية .

فإذا شئت أن تردد علماً فخذ كتاب « المحمص » لابن سيده ج ١٢ ص ٣١١ وأقرأ قوله : « فأما قولهم : سلام عليك ، فأما استجازوا حذف الألف واللام منه ، والابتداء به وهو نكرة ، لأنه في معنى الدعاء ، ففيه وإن رفعت معنى النصب » . يريد كأنك تدعو فتقول : « سلاماً » . وقوله « استجازوا » دليل على أن الأصل هو التعريف بالألف واللام في ابتداء التحية ، وأن الحذف ترخيص منهم ، وهو شبيه بقول الأخفش . هذه ثالثة . فإن شئت أن تضرب الأمثال لنفسك بالشعر كما ضربتها لي ، فاقراً قول جرير في ديوانه ص ٤٤٣ وفي النفاضة ج ١ ص ٢١٢ يا أم ناجية السلام عليكم قبل الرواح وقبل لوم المذل هذه رابعة .

وإن شئت أن تقرأ قول لبيد في الخزائن ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٨ ، وفي ديوانه :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكاً ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر فاقبل بجد قولهم أن كلمة (اسم) مقجمة ، وتقدير الكلام فيها يقول النحاة : « ثم السلام عليكاً » ، وتجذب أيضاً إحدى زوايا « إلى سنة ثم السلام عليكاً » . هذه سادسة .

فانظر لنفسك هل أخطأ كل هؤلاء وأصبأت أنت ؟ واعلم مشكوراً أن المقام في هذا كله مقام ابتداء لا مقام ختام مسبوق بسلام منكراً غير معرف .

وأما نص ابن قتيبة فهو كلام بين لا غموض فيه ، فالرجل يقول لك : « تكتب في صدر الكتاب : سلام عليك ، وفي آخره السلام عليك » ولم يقل لك إنه ينبغي ، ولا أن القاعدة « أن تكتب في صدر الكتاب كذا ... » ، وهو إنما ذكر هذا في كتابه في (باب الهجاء) لا في باب أدب الكتابة كما ترى ، ولم يأمر الرجل ولم ينه ، ولم يقل لك إن من قال في أول كتابه « السلام عليك » مرفقاً فقد أخطأ ، كما شئت أنت تقول . وأما ما ذكره من أمر التعريف ، فإنه أراد أن يملك لم عرف ثانياً

يقال كما رويت ، فالصحابة جميعاً والتابعون من بعدهم ، وأئمة المذاهب من عرفت منهم ومن لم تعرف ، مذهبهم تعريف السلام في التشهد كله إلا (ابن عباس) من الصحابة ، والشافعي من أصحاب المذاهب ، فإنه ارتضى تشهد ابن عباس وآثره لأنه عنده (هو) أتم الروايات وأكملها ، ولكنه لم ينكر التعريف ، ولا استنكره المزني ولا سواء من أئمة مذهبه . فلو أنت عانيت نفسك فرجعت إلى شرح البخاري كابن حجر (ج ٢ ص ٢٦١ وما بعدها) والبيهقي (ج ٦ ص ١٠٩ وما بعدها) لعرفت أن الصحابة والتابعين مجمعون على روايته بالتعريف في التشهد جميعاً ، ولأريت أن أكثر الصحابة قالوا في حديث التشهد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن ، ولأريت النووي وهو من أصحاب الشافعي يقول : « قوله السلام عليك أيها النبي ، يجوز في السلام في الموضعين حذف اللام وإثباتها ، والإثبات أفضل » . أبعد هذا يا سيدي تطالبي بأن أطلعك أنت « على نص يوثق به يشير إلى أنهم منذ زمن الرسول (ص) يقولون في التشهد السلام عليك أيها النبي ! عسى ولعل ، ولعل أهل القبلة أخطأوا جميعاً وأصبحت أنت ! بما أدريت من التدقيق والتحقيق والفحص وطلب الموثيق ! !

وأما إنكارك الحديث على ما خيلت لك ، وأنه مما لا يستشهد به أهل اللغة والنحو ، واحتجاجك على ذلك بشيء اقتطعته من بحث في خزنة الأدب ج ١ ص ٦ ، ولم تنمه على وجهه بالتدقيق والتحقيق والفحص وطلب الموثيق كدأبك وعلى عادتك ، فهذا باب وحده لو ارتطمت فيه لم تعرف مخرجك منه . وما الذي ألك إلى هذا أيها العزيز ؟ ألا أنيتك بحديث المسند ج ٤ ص ٤٣٩ وفيه النص على أن المسلمين كانوا يبدأون التحية بقولهم « السلام عليك » ؟

والحديث الصحيح الذي استخلصه رواتنا رضي الله عنهم ، فنفوا عنه كذب الكاذبين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين حجة في اللغة والنحو ، ولو زعم لك زاعم أنه لا يكون حجة في اللغة ولا في النحو فاعلم أنه مبطل ، وأنه غافل لا يدري ما يقول . ولو رجعت إلى الخزانة التي نقلت عنها (وحسبك ولا أزيدك) علمت أن صاحبك نقل الذي نقلت لي في كلامك ، وأنه رجل عالم طالب حق لا مفرور بباطل ، فقد ذكر وجوه اعتراض المبطلين في الاحتجاج بالحديث ثم نقضها حجة حجة ، وصرح

وكتاب الأنموذج للرازي وتدير ما فيها كل التدبر .

وأما قوله في الآية الأخرى من سورة طه : « والسلام على من اتبع الهدى » إن معنى التعريف ههنا التعريض بحلول المذاب على من كذب وتولى ، فهذا جيد وحسن لقوله تعالى في الآية التي تليها : « إنا قد أوحى إليك أن المذاب على من كذب وتولى » . وهذا أيضاً طلب لنكت البلاغة ، وتبيان لأن التعريف ههنا للجنس . ولكن الزغشري لم يقل لك ، ولا غيره فيما أحسب يقول لك : إن تعريف الجنس ينبغي أبداً أن يكون متضمناً معنى التعريض بشيء كالعذاب أو الويل أو الهلاك أو سوى ذلك كله . ولو كان ذلك كذلك أيها الصديق لكان قصر تعريف الجنس على التعريض عجباً من العجب المضحك ، فانظر إلى قولك « سلام عليك » التي كان أصلها « سلاماً عليك » منصوبة بفعل محذوف ، والتي عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى السلام واستقراره ، مع بقائها في معنى الدعاء ، فأنت إذا عرفتها تعريف الجنس فقلت « السلام عليك » اقتضت التعريض ، فعندئذ تقول لي كما قلت : « ويدهي أيها الأستاذ أنك لا تعني بقولك (السلام عليكم) في بدء كتابك الأول تعريضاً بأحد إذ لا حاجة إلى التعريض » .

نخذ عندئذ أختها وهي قولهم « حمد لله » التي كان أصلها « حمداً لله » منصوبة بفعل محذوف ، والتي عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى الحمد واستقراره ، مع بقائها في معنى من معاني الشكر والدعاء . فإذا عرفتها تعريف الجنس فقلت : « الحمد لله رب العالمين » أفيتقضى ذلك تعريضاً أو توبيخاً أو تهكماً !!! ألا يكون هذا عندئذ عجباً من العجب المضحك ...

ومن أجل تعريف الجنس ما أنجب الزغشري نفسه في آية مريم وفي آية طه ، وفي سورة الفاتحة من تفسير قوله : « الحمد لله » فقرأه هناك وتديره كل التدبر .

وأما مسألة حديث التشهد فأراك جُررت فيها على الحق . ولقد قلت في مقالتي : « أما أهل القبلة فتشهدهم بعد الصلاة مختلف فيه ، فمنهم من يقول (سلام عليك) ومنهم من يقول (للسلام عليك) » . وقبل كل شيء ، فتشهد أهل القبلة لا يكون « بعد الصلاة » وهو « من الصلاة » ومن تركه أو بدّل فيه بطلت صلاته . هذه وإحدة ، وأما الثانية ، فاختلاف أهل القبلة ليس

ثم خذ صاحبك الطبري ج ٣ ص ١٥٦ الذي نقلت منه كتاب رسول الله إلى القوقس ، وكتاب أبي بكر ، وصاحبك « كتاب صبيح الأعشى » ج ٦ ص ٤٦٥ ، الذي نقلت عنه كتاب الرسول إلى كسرى ، ثم اقرأ هداك الله : « الحمد للنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ... » إلى آخر الكتاب .

فهل قلعت أيها العزيز بما سقت إليك ؟ وأحضك النصيح أن لا تتبع تلك الناجية التي نجت بين أهل اللغة تريد أن تتبعج بالعلم والمعرفة والفقه ، فتأق صواب الناس ترميه بالخطأ على الشك والتوهم وسوء التأويل وفساد الفهم . واعلم أن العربية تعلم العقل ، فمن شاء أن يطلبها بحقها فليصبر عليها صبر المؤمن . وأنت امرؤ فيك خير فلا تضيع ما آتاك الله بالمعجلة والتسرع ، فتتعب قبل أن تحكم ، وتدبر قبل أن تقطع ، واستقص قبل أن تستوثق ، وانظر لنفسك قبل أن تزل بك قدم ، واعلم أن شر أخلاق الناس اللجاجة ، وشر اللجاجة لجاجة العالم ، وشر لجاجة العالم لجاجته فيما لا يعلم أو فيما لا يحسن ، وأن نصف العلم قول المرء فيما لا يدري لست أدري . فالفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ، هداك الله وأعانك وسدد خطاك . والسلام عليك ورحمة الله .

محمد محمد شاكر

مجلس سريرية الفلبينية

يطرح في المناقصة العامة عقد ومواصفات عن الترميمات والإنشاءات اللازمة لماهد المجلس وتطلب المناقصة من إدارة المجلس فيها نظير مبلغ ثلاثمائة مليون على عرضحال دمنه . وآخر ميعاد لقبول المطاومات يوم ٩ / ٤ / ٩٤٦ ويوم ١٥ منه لفتح المظاريف الساعة التاسعة أفهونكي

٥٠٢٤

صباحا .

بأن تدوين الأحاديث وضبطها وقع في الصدر الأول من الاسلام قبل أن تقصد اللغة وترتضخ الألسنة باللكنة الأعجمية ، كما يعلم ذلك من درس تاريخ رواية الحديث وتدوينه حق دراسته ، ثم صرح في آخر كلامه بأن لا فرق بين جميع روايات الحديث مهما اختلفت الفاظها ، في صحة الاستدلال بها في اللغة والنحو . وكنت حقيقاً أن تقرا كل هذا قراءة طالب العلم ، فلا تسألني أن أعلق باب الاستشهاد بالحديث ، من أجل كلمات رويتها لم تحسن وضعها في مواضعها .

وإلا لخذني أيها العزيز لم ترى علماء اللغة ، كصاحب اللسان ، وابن الأثير ، والزمخشري صاحبك وصاحب كتاب الفائق ، وسوام ممن عرفت ومن لم تعرف - يملأون كتبهم استشهاداً بالحديث على معان لم توجد في غير الحديث ، ولو طلبت لها شاهداً من الشعر أو غيره لم تجد . فإما أن يكونوا هم البطلين ، وإما أن تكون أنت على حق ، فنبطل من أجلك نصف اللغة ونصف النحو وأشياء أخرى كثيرة .

ثم انظر إلى أيها الصديق ! ألت أنت الذي تقول هذا ، وتقول لي أيضاً في صدر من كلامك معلماً ومنهياً ومقرعاً إنه « فإني أن الحديث لا يستشهد به أهل اللغة والنحو » . هو أنت أنت الذي لم يلبث في آخر كلامه أن يأتي بشيء يتناقض هذا كل المناقضة ، فنقلت كتاب رسول الله إلى القوقس ، وهو من الحديث ومما رواه المحدثون ، وكتابه إلى كسرى ، وهو من الحديث ، وكتاب أبي بكر إلى المرتدين ، وهو من رواية أهل الحديث ، ثم أردفت ذلك بقولك : « ومعلوم أن هذه الكتب مدونة ويستشهد بها اللغويون والنحاة » ؟ يا عجبا كل العجب ! فمن الذي روى لك هذه الكتب ؟ أليسوا هم الذين روى لك الحديث ، وحديث التشهد ، وحديث السلام في المسند ؟ وابن دوت هذه الكتب إلا في الكتب التي دوت فيها الحديث ؟ وما فرق ما بين تدوين الحديث وتدوين هذه الكتب ؟

وإن كنت قد ارتعيت هذه « الكتب المدونة » حجة . يوثق بها ، نخذ كتاب الزمخشري صاحبك ، وهو المسمى بالفائق ج ٢ ص ٣ ، وقرأ فيه وفي غيره أيضاً : « من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد . السلام على من آمن بالله ورسوله ... » إلى آخر الكتاب ، ولم يمرض الزمخشري أيضاً على هذا البدء ، ولم يقل إنه خطأ في اللغة ولا في النحو .

من مذكراتي في أسس الفريب :

حول إنعام...

للأستاذ فؤاد صروف

في ٢٦ أبريل ١٩٤٥ :

شرف الملك أسس حفلة افتتاح معمل المصل الجديد ، وأنعم الدكتور شوشه برتبة باشا . فنعن التبريم ونعم التسام عليه ... وقد كنت منذ سنوات في مجلس أدب كبير ، فدار الحديث الرتب والأوسمة . وكان أغلب الراي بين المتحدثين أن تُلغى نب كما فعلت العراق وسوريا ولبنان ، ولكن الكبير قال : ألفيناها فكيف نستطيع أن نغيز الرجل الذي يستحق بدير والتميز لما يسديه من خدمة إلى الدولة ، أو لما يتفوق على الأقران من علم أو أدب أو فضل ؟ وكانت الكلمات خيرة في السؤال لا تزال تُضطرب على شفهي السائل ، حين لمت المجلس سيدة ذكية حصيفة ، فوجه السؤال إليها ، فقالت : أن تتردد لحظة واحدة : حسب تقدير النخبة من المثقفين . كان قولها فصل الخطاب .

والدكتور شوشه ، ظفر أسس بمد إنعام الملك السامي ، سنين : تقدير الملك التمثل في رتبة عالية ، وتقدير النخبة من فنين ، الذين عرفوه فأثزلوه من تقديرهم في المزة العالية .

وحين قرأت ذكر الدكتور على توفيق شوشه أسس ، تراحت أطر على ذهني ، فقد عرفته أول ما عرفته ، حين كان وكيلا بل الصحة فديراً لها . فكان يومئذ مكباً على البحث العلمي سبل ، مستغرقاً فيه دون أن ينصرف عن شئون الإدارة . يكن بحثه بحثاً في فراغ — على ما يقول علماء الطبيعة ، بل بحثاً في مشكلة مبنية ، لها صلة بالإنسانية التي تمتدب ، إنسانية المصرية على وجه خاص . فقد كان همه أن يكشف لا لمكافئة سم المقرب الذي يكثر المصابون به في مصر . ففعل .

نم عرفته محاضراً مجيداً بالإنجليزية والعربية ، وقد قيل لي إنه من محاضري بالألمانية ، ولكنني لا أعرفها . وعرفته زميلاً م الراي في الجمع المصري للثقافة العلمية ، وكنت سكرتير

الجمع حين تولى رئاسته ، فتجلى لي في كل هذا رجلاً آخر : فهو رجل ليس واسع العلم دقيق البحث وحسب ، بل يستطيع أيضاً أن يبسط العلم وينقله من لغة إلى لغة نقلاً بارعاً ، تملو عبارته العلمية الدقيقة سمّة من طرافة الأدب . وقد أتيح لي أن أشر في المقتطف ، وفي كتب الجمع السنوية ، نصوص أربع من محاضراته في الفازات الحربية ، وسيرة كوخ وأعماله ، والمركة اليومية في الجسم البشري ، وتقديم الطب خلال خمسين سنة . وكان لابد من أن أديم النظر فيها عند تصحيح التجارب ، وكنت أتوسل بتلك التجارب لكي أذهب إليه في العامل لأظفر بشيئين : أن أخصها معه فأضمن دقتها ، وأن أستمتع بتعليقه عليها وعلى ما فيها من وجوه التعبير . فتعلت في خلال هذه الساعات التي كنت أسترقيها من وقته ، بين إدارة العامل وبحثه العلمي الأصيل ، أن أقدر أسلوبه البارع في تقرب العلم ، وحسه اللزوي الدقيق في التعبير عن الماني العلمية ومصطلحاتها ، قديمها وجديدها على السواء .

ثم عين وكيلا لوزارة الصحة ، وكان السنين الطويلة التي قضاه في تحصيل العلم وممارسة بحوثه الأصيلية ، وإعداد المحاضرات لتقريب معانيه وإلقائها ، وما علمه بالتجربة من حاجة مصر إلى الإصلاح الصحي من وجوهه الكثيرة ، وما فطر عليه من حب الخير والعمل — قد احتشدت جميعاً ، لتكوين الأساس لشروعات الصحة المتعددة التي وضعها أو محصها مع الوزراء الذين تولوا الوزارة ، والتخصصين من رجال الوزارة ورجال كلية الطب ، فصح فيه يومئذ ذلك القول المأثور : « هذا النصب لهذا الرجل » .

هذه الماني الثلاثة : البحث العلمي الأصيل الذي يحول بعض المجهول معلوماً — والمحاضرة العلمية المثقفة التي تجعل بعيد معاني العلم دانياً متقاداً ، وتطبيق قواعد العلم وأغراض العلم في أعمال الحكومة والإدارة لتحقيق خير الشعب — هي التي نألت في ذهني حين علمت بأن جلالة الملك تفضل نخصه بإنعام سام ، كان إنعاماً على العلم والعمل النافع جميعاً .

وهذه الماني الثلاثة تقرر حقيقة ، وترسم دستوراً لجميع العاملين . أما الحقيقة ، فسطورة في سجل خدمته ، وأما الدستور فركن من الخطة العظيمة التي لا بد لمصر من أن تحتطها — منذ اليوم بل منذ الساعة ، لكي تمد نفسها لمواجهة مشكلات الغد وحلها ، حتى نستطيع أن نقيم في هذا الوادي عالم أفضل من

يدكرون ألوف الملايين من السنين ، على حين كان رجال المصير السابقة لا يدكرون إلا الألوف ، وأما علم الطبيعة الثام - كون منتظم في الذرة ، والبيولوجيا عن كائن حي في الخلية وأبان علم وظائف الأعضاء طائفة يتعذر حصرها من أسر الأعضاء ، وأثبت علم النفس وجود عوالم وعوالم من الفس والشعور في كل حلم ، وجاء رجال علم الإنسان فوصفوا لنا صور عجيبة عن قدم الإنسان على سطح الأرض ، وجاراهم رجال الآ فأخرجوا من جوف الأرض مدناً وحضارات ، وتبعث ذ المخترعات العجيبة التي يسرت أساليب الحياة ، ولكنها خلة طائفة كبيرة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية تكاد تستعمر على الحل .

وفي هذا كله روعة تأخذ بمجامع النفس ، ولكن يكن خطر لا بد من تبيينه والتحذير منه . فالتخصص يزداد على الز نمقا في شئون لا يدركها الثقف من أوساط الناس ، والثقة الوسط بتسع نطاق ما يعرفه ، ويضيق نطاق ما يفهمه . و انقسمت المعرفة على هذا النحو عجزت عن توليد الحكمة ، وم لكل علم ، ولكل فرع من علم ألقاظ خاصة لا يفهمها التخصصون . وصار زعماء معظم الأبحاث عاجزين عن وص ما يكشفون بلغة الناس .

ومن هنا اشتدت الحاجة إلى المعلم الذي يستطيع أن يذ الشعب ما يفعله التخصص أو يكشفه ، فمهمته أن يتعلم له التخصص ، كما تعلم التخصص لغة الطبيعة ، ثم يحطم الحائل اللغوي القائم بين التخصص والأمة ، أو الحائل اللغوي بين ولغة أو كليهما ، كما هي الحال عندنا الآن .

ومن آيات التوفيق في كفاح هذا الخطر ، أن قام في القرن علماء وهبوا هذه القدرة التي نطلبها في هذا الطراز من الثقف . والدكتور شوشه مثال بيننا لما أسداه أولئك اله إلى قومهم . فعلمه الواسع الدقيق بمدى بالقدرة على الفوص المعاني البعيدة في العلوم التي توفر عليها ، وخياله الخصب يهد تصوير تلك المسائل صورا شائقة قريبة ، وحسه اللغوي الأ يمكن له إفراغها في عبارات ناصمة عربية وبيان عال . والة الثلاث تضبط إحداها الأخرى : فالعلم يضبط الخيال فلا يش ويمسك القلم فلا يثرق ، وإذا العبارة القصيرة ، أو الحام الطويلة ، آية في الوضوح والرواء والإحكام .

(البقية في صفحة ٣٤٠)

عالم أسس الغابر ، عالماً يقوم على الوفور دون الموز ، وعلى الصحة دون السقم ، وعلى العلم دون الجهل ، وعلى أخلاق الرجال .

وفي وضع هذه الخطة وإنفاذها ، لا بد لنا من أن نربي العلماء الذين يتولون العلم ببحوثهم الأصيلة . ولست في حاجة إلى إقامة الدليل على أن العلم قوة ، وينبغي أن نطلبه ولو في الصين . فليس نمة ناحية من نواحي حياة الفرد أو المجتمع لم يتغلغل فيها العلم فرفع من شأنها وأصلح من أمرها : الزراعة والصناعة والغذاء والصحة والمواصلات والمحاطبات . وكثير مما أنجبه العلماء في سائر بلاد الناس ، يصلح لنا فيصح أن نتمعن فيه وتندرب عليه ثم نتخذ في ما يصلح له من شئوننا . ولكننا نجد في بينتنا مشكلات خاصة ، لا يصلح لبحثها أو حلها إلا علماءنا . وهم ماضون في ذلك بحمد الله ، ولكن عددهم يجب أن يزداد أضمافا . وتأيدهم من الحكومة والشعب يجب أن يستفيض في الميرانية ، وعلى السنة الناس وفي مجالسهم وصحفهم ، وصلتهم بالصناعة المصرية ينبغي أن تتوثق . وحذا لو طالع القراء الكتب السنوية التي أصدرها المجمع المصري للثقافة العلمية - هذا المجمع الذي كان الدكتور شوشه أحد مؤسسيه ، ثم أحد رؤسائه - إذن لوجدوا في مئات من الصفحات ، في خمسة عشر مجلداً نفيسا أو تزيد ، عشرات من المسائل القومية في الزراعة والصناعة وتوليد الطاقة ، وحفظ التربة ، وكفاح المرض ، وتجويد الغذاء وتحسين الصحة العامة لا يصلح لبحثها وحلها إلا الأكفاء من المصريين ، الذين جرى حب البلاد والشعب في عروقهم ، وتدريبوا على البحث العلمي الأصيل . وما خبيرة الدكتور شوشه وسه المقرب ، ومرشحات الماء في المنازل الريفية والقرى الصغيرة والمتوسطة التي أخرجها منذ سنوات ، سوى مثلين وحسب .

أما تبسيط العلم وتقريب معانيه البعيدة ، وبث روحه العالية في جماعات الناس التي لم تغفر لسبب من الأسباب بالقسط الذي تنوق إليه منه ، فقد أصبح لازماً في هذا العصر الذي اتسع فيه نطاق المعرفة اتساعاً لا عهد لنا بمثله في عصر سابق من عصور التاريخ . فكل علم من العلوم القديمة قد نما واتسع نطاقاً وتشمق فروعا ، فتولدت منه علوم جديدة كل منها أدق من سابقه معنى وأشد عناية بالتفاصيل ، فهو لذلك أشق على الحصر والإحاطة به . فقد كشف النظائر عن كواكب ونظم منظومة من النجوم والسدم يتعذر على عقل واحد أن يلزمها جميعا ، وأصبح رجال الجولوجيا

من الأغاني المالية :

حنين الغريب

[لناها دوسر]

بقلم الأستاذ كامل كيلاني

ذكرنا في العدد ٦١٤ من الرسالة أن جمعية مصرية ألفت لتعريب الموسيقى العالمية فوائها الأستاذة على مصطفى مشرفة باشا وكامل كيلاني وعبد زكي على وإسماعيل راتب وعلى بدوي ، وأنها اختارت عشر أغاني لبقارة الموسيقى نقلها نظراً إلى اللغة العربية الأستاذ كيلاني ، ثم نشرتها على الناس منظومة مدونة . وزيد اليوم أن الجمعية لا تزال دائبة على تنفيذ هذا المشروع العظيم ، وأنها علي وشك أن تخرج للناس مجموعة أخرى من هذه الأغاني . ويسرنا أن ننشر منها هذه الأغنية الجميلة لتكون إلهاماً لهذه الفكرة ومرفقها بحالة لغتان وعلاوة مشرق .

يا نهر سواني^(١) : نفسي تهواك قلبي حياك
من كل أرض فكري برعاك قلبي بهوى نجواك
في التل العالي فوق الوديان أمشي حيران
في الروض الحالي تحت الأفنان تقتلني الأحزان
يا صحابي : يارفاقي : بلغوا السلام
يا فؤادي : كم تلاقى من لا عجز السقام
يا عهد الوادي ، يا عهد الثور عهد صباي
أجسري وأعني وأدور وأناجي كليلي
يا عهداً وإلى والدهر سعيد حلو التفريد
نراني أتمى ، والدمش رغيد أنراه يعود !
يا صحابي يارفاقي : بلغوا السلام
يا فؤادي : كم تلاقى من لا عجز السقام
أوطائي فيها كوخ أزعام أنا لا أنساه
كم تكوى قلبي حزناً ذكراً سحرني ريباه
والنخل نجني الثور البسام بين الأصنام
أفدي بحياتي تلك الأيام أفدي عهد الأحلام
يا صحابي يارفاقي : بلغوا السلام
يا فؤادي : كم تلاقى من لا عجز السقام

(١) نهر بنوب أمريكا .

ليتنى . . .

للحرموم أبي القاسم الشابي

—»»»»»—

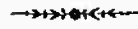
«أيها الشعب ليتنى كنت حطاً با فأهوى على الجدوع بفاسي
ليتنى كنت كالسيول إذا سالت تهد القبور رمسا برمس
ليتنى كنت كالرياح فأطوى كل ما يحنق الزهور بنحس
ليتنى كنت كالشقاء أعشى كل ما أذبل الخريف بنرس
أيت لي قوة المواصف يا شعبي فألق إليك ثورة نفسي
أيت لي قوة الأعاصير لكن أنت حتى تقضي الحياة برمس
أنت روح غيبة تكره الذو ر وتقضي الدهور في ليل ملس
أنت لا تدرك الحقائق إن طافت حو اليك دون مس وجس
في صباح الحياة ضمخت أكوا بي وأترعها بخمرة نفسي
نم قدمتها إليك فأهرق ترحيق ودمت يا شعبي كلني
فقلت نم أسكت آلا

ي وكفكت من شعوري وحسي
ثم نضت من أزهير قلبي باقة لم يمها أي أنسي
ثم قدمت إليك فزقت ت ورودي ودستها أي دوس
نم البتني من الحزن نوباً وبشوك الصخور توجت رأسي
ها أنا ذاهب إلى الناب يا شعبي

ي لأقضي الحياة وحدي بيأس
ها أنا ذاهب إلى الناب على في صميم الغابات أدفن نفسي
نم أنساك ما استطعت فأتت بأهل الخرق ولكنسي
سوف أنلو على الطيور أناشيدي وأقضي لها بأحزان نفسي
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى أن يجد النفوس بقطة حس
نم أقضي هنالك في ظلمة الليل سل وألق إلى الوجود بيأس
نم تحت الصنوبر الناضر الحلد ونحط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلعو على قيد ري ويشدون التسيم فوق بهمس
وتظل الفصول تمشي حوالى كما كن في غضارة أمس
أيها الشعب أنت طفل صغير لالع بالتراب والليل مفس
أنت في الكون قوة لم تسها فكرة عبقرية ذات بأس
أنت في الكون قوة كبلتها ظلمات المصرد من أمس أس

حول إنعام . . .

(بقية النشور في صفحة ٢٢٨)



وهذه مهمة شاقة كالصباية لا يعرفها إلا من يعانيها ، ولولا العمل العظيم الذي يضطلع به الدكتور شوشة في وزارة الصحة ، ولما شروعاتها من أثر خطير في مستقبل الشعب المصري ، لكنت رجوتها ، ولكنت أحت الحكومة ، على أن ينقطع للحاضرة في الموضوعات التي توفر عليها وشغف بها .

ولكن العمل الذي يضطلع به في الحكومة ينزل في الصميم من مستقبنا . فصحة الشعب ، من أي النواحي أتيتها ، هي والأرض رأس مالنا الأول ، وواجب محتوم على كل قادر أن يشارك في دراسة المشكلات واقتراح حلول لها والعمل عملاً جاداً متصلاً على تنفيذها . وقد مضت سنون على الدكتور شوشة ، وهذه الناحية من حياة مصر في المركز من عنايته ، وقد طالما سمعته يتحدث فيها مع زملائه حين كانت وزارة الصحة وكالة ، ثم في وزارة الصحة وكلية الطب ومعهد الأبحاث وغيرها من الهيئات .

وما قطعه هو وزملاؤه . ليس إلا مرحلة قصيرة من طريق وعمر ، في حرب تُشن على الجهل والمرض والفاقة ، وستظل أرحاؤها تدور ، حتى تصبح الكنانة جنة على الأرض .

قوار صروف

وعبير الورود في كل واد ونشيد الطيور ساعة تسمى
وهزيم الرياح في كل فج ورسوم الحياة من أمس أمس
وأغاني الرعاة ابن يوارب لها سكون الدجى وأيان تسمى؟
عكذا يعرف الحياة وبني حلقات السنين حرساً بحرس
بالها من مبيشة في صميمها ناب تضحي بين الطيور وتسمى
بالها من مبيشة لم تدن بها نفوس الوري بجنت ورجس
بالها من مبيشة هي في الكون حياة غريبة ذات قدس

أبر القاسم السابلي

والشق الشقي من كان مثلي في حساسيتي ورقة نفسي »

هكذا قال شاعر ناول الشعب - ب رحيق الحياة في خير كأس
فأشاحوا عنها ومروا غصبا واستخفوا به وقالوا بيأس :
قد أضع الحياة في ملب الجن فيا يؤسه أصيب بحس
طالبا خاطب المواصف في اللي

سل وناجى الأموات في كل رسم
طالبا رافق الظلام إلى النفا

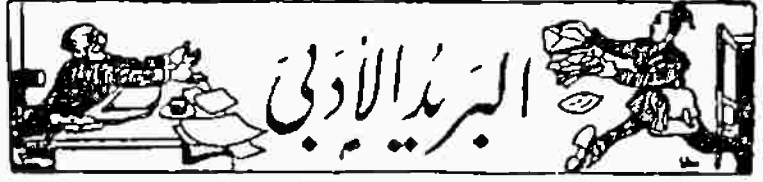
ب وناجى الأرواح من كل جنس
طالما حدث الشياطين في الوا دي وغنى مع الرياض بحرس
إنه ساحر تعلمه السحر سر الشياطين كل مطلع شمس
أبعدوا الكافر الخبيث عن الهيب

سكل إن الخبيث منبع رجس
أطردوه ولا تصيخوا إليه فهو روح شريرة ذات نجس

هكذا قال شاعر فيلسوف عاش في شعبه الغبي بتمس
جهل الناس روحه وأغايب سها فساموا شموه سوء بحس
فهو في مذهب الحياة نبي وهو في شعبه مصاب بحس
هكذا قال ثم سار إلى النفا ب ليحيا حياة شعر وقدس
وبعبدا هناك في معبد النفا ب الذي لا يظله أي يؤس
في ظلال الصنوبر الحلو والزيب ستون يقضي الحياة حرساً بحرس
في الصباح الجليل يشدومع الطيب سر ويسى في نشوة التجدي
نافخاً نايه حواليه تهتز ورود الربيع من كل قنس
شمره مرسل تداعبه الريب ح على مكثفيه مثل الدمقس
والطيور الطراب تشدو حواليه

ه وتلفو في السرو من كل جنس
وتراه عند الأصيل لدى الجد ول ينو للطائر المتحسى
أو ينفي بين الصنوبر أو بر نو إلى سدفة الظلام المبسى
فاذا أقبل الظلام وأمت ظلمات الوجود في الكون تقسى
كان في كوخه الجليل مقبا

يسأل الكون في خشوع وهمس
من مصب الحياة ابن مدام وصميم الوجود أيان يرسي



وقفه اليهود العرب من الصهيونية ذكر فيه أن ممثل اليهود أمام لجنة التحقيق السيد عبادى أجاب هذه اللجنة حين سألته عن الفرق بين اليهودية والصهيونية بقوله :

إن اليهود والعرب يسلمون كل التسليم بالفكرة الصهيونية، وبوجوب إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين، وبلزوم هجرة اليهود والعرب من العراق ومصر وشمال أفريقيا إلى هذه الدولة اليهودية الجديدة قال الأستاذ العيسى : « وهكذا قطعت جبهة قول كل خطيب ، وانتهى التدجيل الكلاي الذي دأب زعماء اليهود العرب بسمونه مواطنيهم المسيحيين واليهود من أنهم يشجبون ويلعنون ويمقتون كل من يقول بالصهيونية لأنهم يعتبرون أنفسهم عرباً » .

ثم قال الأستاذ : « كنا دائماً نتجنب إدخال اليهود الوطنيين في القضية الصهيونية ونحافظ على التفريق بينهما كلما كتبنا في الموضوع ؛ أما اليوم فقد أراحنا هؤلاء المواطنون من هذا التكلف وصاحوا بأعلى أصواتهم أنهم لاشأن لهم معنا بل هم مع الصهيونية ضدنا ، أما اليوم وقد صرح الزيد عن الحمر وأظهروا حقيقتهم برضاهم واختيارهم ، فقد حذفنا من قاموسنا كلمة صهيونيين وغير صهيونيين لأن الخصام السياسي أصبح محصوراً بين عرب ويهود على الإطلاق » .

نابحي الطنطاوي

(دمشق)

مول لفظ البيروني :

لست أرى ما ذهب إليه الأستاذ وديع فلسطين مع احتراي له وثنائى على حسن عنايته ، فليست هذه الألفاظ صفات ، وإنما هي أسماء لها مدلول أوسع مما تدل عليه الكلمة في اشتقاقها اللغوي . وهل نترجم الكاثوليكية مثلاً والبروتستانتية إلى العربية ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والقدرية ، والشيعية ، إلى الأفرنجية ؟ هذا ، ولست أنكر أن إيراد تلك الأسماء الأفرنجية وسط الكلام العربي فيه شيء من الثقل ، ولكن ذلك هو الصواب فيما اعتقد والسلام .

الحبيب

مفرد المهر الملكي للموسيقى العربية :

قدّم الدكتور محمد شرف الدين سليمان منذ عامين في حفلة المعهد الملكي للموسيقى العربية للأستاذ علي محمود طه « أرواح وأشباح » وقد اختار لحفته هذا المام أوبريت « دموع الرشيد » وهي للشاعر عبد القادر محمود وسيقوم بإخراجها الأستاذ عثمان أباطة فترجو للمعهد التوفيق في عهده الجديد .

عبي

كلياته تنافساره :

بين كلية اللغة العربية وكلية دار العلوم تنافس طال أمده ، وكنا نحب أن يكون عزاً التنافس بينهما في ميدان التجديد الذي مات بموت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ولكنهما يتنافسان على وظائف التدريس في المدارس الأميرية ، وفي دخول معهد التربية ، وما كان يصح أن يكون بينهما تنافس على ذلك ، لأن المدارس الأميرية بعد أخذ الحكومة في تعميم التعليم الابتدائي وتوسيع التعليم الثانوي ستعس أبناء الكليتين ، وربما تحتاج الحكومة إلى كلية أخرى من نوعهما ، ويجب أن يعلم أبناء الكليتين أنه يوجد كلية آداب بجامعة فؤاد وكلية آداب بجامعة فاروق ، كما يوجد بهما كليتان للطب وغيره ، وليس بين هذه الكليات مثل هذا التنافس على الوظائف ، مع أن باب الوظائف لا يتسع أمام هذه الكليات ، كما يتسع أمام كلية اللغة العربية وكلية دار العلوم . ويجب على الحكومة أن تبادر بإزالة أسباب ذلك التنافس ، لأنه مما يضر بمصلحة الوطن ، ونحن في أشد الأوقات حاجة إلى جمع الكلمة ، وإزالة أسباب الخصام بين طوائف الأمة .

عبد المتعال الصعيدي

إلى الأستاذ وديع فلسطين :

قرأت بشغف تلك القصة التي أهديتها إلى (١) ، وإذا كنت لم أرفها أفكارك الخاصة ، فقد رأيت فيها أسلوبك الخاص الذي أضفيته عليها ، كما لست في مقدمتها شخصيتك واستعدادك للذين عرفتهما من قبل .

إنك تسير في الطريق الصحيح ، وإنني أرى من الآن تلك المسكاة التي ستبواها قريباً بفضل اجتهادك ومثابرتك ومواهبك ، فإلى الأمام .

صحماده الناهل

موقف اليهود العرب من الصهيونية

كتب شيخ الصحافة في الشام الأستاذ يوسف العيسى صاحب جريدة « ألف باء » مقالاً بليغاً عن الموقف الأخير الذي

(١) مسرحية « الأب » تأليف أوجست سترندبرج . لجنة النشر للجامعيين



نفس الإنسان ، من نعيم أو شقاء ، أو حزن أو سرور ؛ فإن فتحي قد رأى محموداً ولم يلحظ فيه هذا التحول ، وكذلك لم تلحظه أمه ولا أخواته الثلاث عندما جلس معهن على المائدة ، ليؤنسهن ، ويسامرن ، فقد تناول عشاءاً في منزل فريد . ولقد رأينه أكثر سروراً منه في كل وقت ، ولكن لم يمتد بهن الحيال أبعد من أن نجاحه في عمله المدرسي وتمتعه بثقة أصدقائه هو الذي يضي عليه نوب هذا السرور دائماً .

إن الإنسان ليضيق به المكان ، ولا يستطيع الاستقرار فيه إذا أقعته الفرحة ، وكذلك كان محمود ؛ فقد استحال عليه أن يقنع نفسه بالبقاء في المنزل ، بعد أن فرغت أمه وأخواته من عشاؤهن ، وانصرفن لبعض الشؤون ، فنادر البيت وليس له مقصد معين . ولما كان الوقت قريباً من شهر رمضان : والناس جادون في الاستعداد له ، فإن المحال التجارية والمقاهي كانت تعمل إلى وقت متأخر من الليل ، فراق لمحمود أن يذهب إلى المقهى ثانية يقضى فيه شطراً من هذا الليل ، وقد أنه سيتلاقى - حتماً - مع فريد ، فإنه لن يستطيع المبر على الانتظار في البيت ، ولكنه أخطأ التقدير ، فلم يجد إلا « صديقه » شقيقاً « غيابه وقال له : هل أنت هنا وحدك ؟ فرد عليه شقيق التحية وقال : ما دمت قد حضرت فلن أكون وحدي . ثم جلسا متقابلين ونظر محمود إلى شقيق وقال وهو يتنهم : إن ملامح وجهك ، ونبرات صوتك ، تدلنا على تنير طرأ عليك فإذا بك يا شقيق ؟

— لا شيء ! وكيف أتغير ؟

— لا أدري ! ولكنك لست كما أنت في كل يوم .

— إن الإنسان لا يدوم على حال واحدة ، وتلك سنة الطبيعة وناموس الوجود . وعسى الله أن يأتي بالفرج . وعند ما نطق شقيق بهذه العبارة اجتهد أن يملك زمام نفسه أمام نظرات محمود النفاذة إلى القلوب . ولكن محموداً وقد أراد التسلية ، وقتل الوقت ، فقد أمطر شقيقاً وابلاً من الأسئلة ؛ فقال له : أأنت من أصدقائك ، ومن حق أن أعرف ما حل بك ؟ فقد أستطيع أن أمد لك يد المساعدة ؟

— لم يحل بي مكروه ، والحمد لله . ثم لماذا تسألني هذا السؤال ؟

— لأن رأيتك هذا اليوم في الطريق مهموماً ، وآية ذلك

فمنه ألبانية :

المهد الذهبي ...

[مهده للأستاذ الكبير كامل كيلاني]

نقلها الأديبانية :

وهي اسماعيل حقي وأبراهيم خير الله

— ٤ —

—>>><<<—

أخذ « محمود » طريقه إلى بيته — بعد أن فارق فريداً — وهو يكاد بطير من شدة الفرح ، يلقى التحية على من يقابله من إخوانه ، ويرد تحياتهم بثر باسم ، ووجه باش ، وصوت يشيع فيه السرور ... وإن رأسه ليدان فسيح تتسابق فيه الأفكار حول المشروعات العمرانية والثقافية التي أراد أن يشق بها طريقه إلى الخلود والمجد ، فيسكون أول مكتشف يجلو عن جبين التاريخ الألباني العظيم ما غمض من حقيقته . وسيتسع بذلك أفق حياته ، ويصبح إنساناً آخر غير محمود المدرس الذي خرج في صباح هذا اليوم إلى المدرسة يعمل جاهداً طول نهاره ، ويعود متعباً مع الليل . سيصبح « مليونيراً » تنو إليه الميون ، وتشير إليه الأصابع ، ويسير في ركابه الاحترام . وإنه لشغول بهذه الأفكار إذ مر به صديقه فتحي ماشياً على حذر خشية أن تزلزل رجله فيسقط في الوحل ، ولقد اختلس النظر إلى محمود على ضوء الكهرباء التي أنارت الطريق ، لكنه لم يخطر له على بال أن محموداً سيكون — بين عشية وضحاها — مذكوراً على كل لسان ، وموضوع حديث كل إنسان ، وأن اسمه سيتداول مع الأجيال المقبلة ، لما وافق إليه من اكتشافات غيرت وجه التاريخ ، وسجلته مع الخالدين ...

إن المظاهر الخارجية قد لا تعبر تمبيراً صادقا عما تظوى عليه

- إن لم أكن قد اكتشفته فسأكتشفه قريباً . فقال محمود ضاحكاً - بعد أن اطمأن أن بيرام لم يفلت من يدهم ، وأن شفيقا إنما يعلم بأبار من «أبونوس» : أرجوك ألا تنساني يا شفيق ، ثم أخذ الحديث مجرى آخر إلى أن انتصف الليل فقام كل منهما إلى منزله . وقد أثر محمود أن يسلك إلى بيته طريقاً طويلاً يمر بمنزل فريد ، رجاء أن يقابله بيرام عائداً فإن ميماده قد حان ، ولكنه لم يصادفه .

قضى محمود ليلة « نابنية » فقد أخذ موضعه من سريره ، ولكن النوم ضل طريقه إلى عينيه ، فلم يغمض له جفن . وقد تمتلئ له حوادث النهار حقائق لا يمتورها شك ، ولا يتسرب إليها وهم . ولقد امتد به الخيال فذهب يرافقه السيد عفت ومجمله فريد إلى « دومن » وقالوا بيراماً في بيته وأرشداه إلى الكهف وقادهم في مسالكه ورأوا بأنفسهم ما احتواه الكهف من ذهب نضار ، وتماثيل عجيبة ، انفسح لها مجال الفخر بأن يد الزمن عجزت أن تمتد لها بسوء طوال هذه القرون العديدة ، التي مرت بها ، وفي هذا دلالة على أن صانعيها في ذلك العهد الغابر قد ضرب في جودة الفن بسهم وافر . وأن الألبان أهل حضارة قديمة ، ومدنية عريقة ، وهذا الكهف بما فيه شاهد عدل ، وحجة دامغة على من يدعى الإنكار .

وهاهي ذي الأزيار الكبيرة قد امتلأت بالذهب ولا يعلم إلا الله وحده متى جمع هذا الذهب ؟ ومن أين جمع ؟ ومن جمعه ؟ فقد تكون الجنود الألبانية المنتصرة قد غنمته من عدو مغلوب في ذلك العهد البعيد ، أو تكون الحكومة القائمة آنذاك قد استبدلت به الأسرى والسبايا التي عادت بها جيوشها المظفرة ، أو تكون قد جمعت من أفراد الشعب ظلماً بأيدي حكام طغاة ضلت الرحمة طريقها إلى قلوبهم ...

وهاهي ذي قد زالت من الوجود الوسائل والغايات التي جمع بها ومن أجلها هذا الذهب ، وبقي هو ليبدأ اليوم صفحة جديدة في حياة أناس آخرين لا صلة تربطهم - في الواقع - بمن جمعه ، ولم يقدرُوا في يوم ما أن القدر قد كتب لهم في سجل حياتهم هذه السعادة ، وهذا النعيم .

ها هو ذا القنديل المعلق في وسط الكهف يقرأ علينا من أخبار ذلك القصر العظيم الذي كان يشع فيه ضوؤه ، ويقص علينا من تاريخ أهله العجب المجيب ، فهؤلاء أمراء الأجناد وأبطال الحرب ينتظم عقدم كل مساء إذا أوغل الليل ، يدبرون

أنك لم تحيناً . فتتحرك شفيق في كرسيه في حركة عصبية وقال في شيء من الغضب : ذلك لأن لدى أشغالا هامة ، فليس صديقك فريد هو المشغول وحده .

- ولماذا تفهم فريداً في هذا الكلام وهو ليس معنا .
- إنه متكبر ، يدل براء والده ، ويضع نفسه في غير موضعها ، وأولى له أن يطرح هذا جانباً وإنني أمقته لذلك .
- لو تعلم عنه مثل ما أعلم ، ما خالجت شك في سمو خلقه ، وصفاء نفسه ، إنه مثل من أمثلة الروء والنبل .

- أنا لا أعلم عنه إلا أن ثراء والده أفسد خلقه ، وواد مروءته ، وإن الثنى الذي يفاخر به ليس وقفا عليه ؛ فربما أصبح أناس آخرون في وقت قريب أكثر منه ثراء ، وأيسر منه حالاً - « اشقودراه » كبيرة وبها كثير من الأغنياء .

- نعم ! ولكنني أقصد أن من الممكن أن يظهر في سماها أغنياء جدد فجأة لا يستطيع الخيال أن يصل إلى ما يمكن أن يصل إليه من مال . فاضطرب قلب محمود خوفاً من أن يكون شفيق قد التقي بيرام وعلم من أخباره شيئاً ، ولكنه اجتهد في إخفاء تأثره وقال : نعم ! ذلك ممكن وميسور ، وإنه ليكني الإنسان ليكون غنياً أن يرجح « يانصيب دوبلين » .

- وما قيمة « اليانصيب » ؟ . إن سبلا كثيرة للغنى تفتتح أمامك ، إذا أسعدك الحظ ، وواتتك الظروف .

- وماذا تكون هذه السبل ؟ برك دلتني على إحداها ! -
- ها أنت تسخر من كلامي ! ولكن حقاً توجد طرق كثيرة -
- أنا لا أنكر أنها توجد ! ولكني أومن بأن الحظ لن يحالفك أبداً .

- وأنى لك ذلك ؟ لأنه خدم صديقك فريداً ، أم ماذا ؟
- وما شأن فريد هنا ، لكل إنسان خطة في الحياة .
- على كل حال ، سأحدثك بسد قليل . ثم سكنا وقتاً نشئت فيه فكر محمود واعتقد أن شفيقا قد اشتهم غير الكثير -
لا عمالة - وأن بيراماً - لا بد - وأن يكون قد خالهما . ولم يتحول عن هذا الاعتقاد إلا عند ما قال شفيق : هل تعرف شيئاً عن مادة « أبونوس » .

- نعم أعرفه ! ولماذا ؟
- ما قيمة هذا المدين بين المادين الأخرى ؟
- إن قيمته عظيمة ! كالذهب تقريباً ، ولكن لماذا نساكني عنه ؟ هل اكتشفت منجاً ؟

مع الحاكم خطط الهجوم على العدو ، ويتشاورون في أنجع الطرق وأضمن الوسائل للتغلب عليه ، وإن عددهم ليتناقص واحداً واحداً وعلى مر الأيام حتى لم يبق منهم أحد ، فقد فتوا جميعاً ، ولحق بهم الملك بعد قليل - سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ولقد قام على أبقاضهم جماعة فهموا الحياة فما آخر فكان وقتهم موزعا بين الرقص والفناء وغيرها مما يشبع البهجة والسرور في النفس ، ويمسح عن القلب ما يكون قد علق به مما يباعد بينه وبين الاشرار .

وقد طوى الزمن هؤلاء وأولئك فأصبحوا تاريخاً يسرد وبقيت وحدي تذكراً لذلك الماضي البعيد ...

المهد في زاوية من زوايا الكهف يتحدث في صلف عن أولئك الملوك الذين تآرجحوا فيه أطفالاً وداعبوا فيه صغارهم حكماً كباراً ، وهم معقد رجا الأمة ، وملئقي آمال الشعب . دارت كل هذه الخواطر في رأس محمود فباعدت بينه وبين النوم إلى أن طلعت الشمس ، فهب من سريره واستبدل ملابسه وأسرع إلى منزل فريد ، وكله شوق إلى رؤية ما استحضره ييرام من العينات .

ولكنه لما دخل على فريد ، ورأى الألم والحزن مرسمين على صفحة وجهه ، والقلق والاضطراب في حركاته وسكناته قال له : ماذا بك ؟ ألم يأت ييرام بعد ؟

— لقد انتظرتني إلى طلوع الشمس . لكنه لم يأت .

— كيف ذلك ؟ أراه كان بهزأ بنا ؟

— لا أدري ! وإن متعب جداً ، ولم أذق طعم الراحة طيلة الليل وأود أن استريح فأذن لي ، فخرج محمود وترك فريداً يستمد للنوم . ولما كان في الطريق غير بعيد عن منزل فريد رأى السيد لطفى يذهب ويحى . — في طول الشوارع وعرضه — كأنه يراقب من في المنزل ، أو كأنه على موعد مع أحد ، فعجب من وجوده هذا الوقت المبكر في هذا المكان ، الذي ليس لأحد فيه صلة به ، ثم في سرعة البرق تذكر ما دار بينه وبين شفيق في الليلة المنصرمة ، وبدأ يتسرب الشك إلى قلبه ، وكان قد حاذاه ، خفاء نحية الصباح ، فرد لطفى تحيته في صوت مضطرب خافت ، وبدأ عليه شيء من الإرباك ، فقد كان يود ألا يراه أحد من أصدقائه في وقته تلك . أما محمود فقد أسرع في طريقه إلى المدرسة شارد التفكير ، حائر اللب ، يود أن يعرف لماذا تأخر ييرام ؟ ولماذا وقف لطفى أمام منزل فريد بالذات في هذه الساعة المبكرة

وقد أحس في نفسه شعوراً قوياً بأن شفيقا وصديقه لطفى إنما يقومان بما يعمل مشتركا ، وليس بعيداً أن يكونا قد أوتما ييراما في الشرك . ولقد طنى هذا الشعور على محمود — وكان قريباً من المدرسة — فرأى أن من الحيلة أن يرجع ، ويقف فريداً على ما كان من شفيق ليلة أمس ، وأنه رأى السيد لطفى الآن يدور حول منزله ، ويطلعه على إحساسه من أن شفيقا وطفى يعملان معاً لتفرض مشترك . وبينما هو عائد لمح من بعيد السيد لطفى يتحدث في كثير من الاهتمام إلى قروي ربط رأسه بمندبل أحمر ستر كثيراً من وجهه ، بحيث يصب على إنسان لم يكن رآه كثيراً — أن يعرف من هو ، ولكن محموداً أحس إحساساً قوياً أن هذا القروي لن يكون غير ييرام ، فاندفع نحوهما بغضب وقال بمدة :

— أين كنت يا ييرام ؟ لماذا لم تجيء الليلة كما وعدت ؟ أتكذب علينا ؟

— تمهل ياسيدي ! ولا تجعل للغضب سبيلاً إلى قلبك ، فسأقص عليكم كل شيء .

وهنا تدخل السيد لطفى ، وقال لمحمود بصوت شاع فيه الغضب :

— إن هذا الرجل لا سلطان لك عليه ، فقد تكلم معي أولاً وليس من حقك أن تقف معنا ، فامض في طريقك ، ولا تتدخل فيما ليس من شأنك .

— كيف تقول إنه تكلم معك أولاً ؟ إنه أكد الإيمان أنه لم يسبقنا إلى معرفة أمره أحد .

— لا أريد أن أعرف ماذا قال لكم ، ولكن أريد أن تفهم أنه مرتبط معي فقط .

— معك أنت ؟ قال محمود هذه الكلمة بغضب شديد ، دل عليه احمرار وجهه ، وبريق عينيه ، وتقلص شفتيه ، وخشونة صوته ثم رامياً بألفاظ شديدة اللهجة قوية الواقع ... ولكن ييراما قد وضع حداً لهذا التراشق بالشتائم ؛ فقد صاح فيهما :

— مهلاً أيها الفاضلان ! فلست مرتبطاً مع أحد منكما ، فلا تقتلوا من أجل ، فهمتي في هذا المنزل . وأشار إلى منزل السيد عفت والد فريد : فقال محمود :

— حسن ! عليك أن تذهب إليه الآن .

فابتعد السيد لطفى عنهما وقال مهدداً متوقفاً :

— اذهبا حيث شئتما ، وسنرى . (البقية في العدد القادم)

شعاب قلب

دروس ثنائية تمليزية

صور من صميم الحياة

تمثيل قصص على زهوى الفارسي

عرض مشوق مرغوب

بقلم

مبني الزمهرلي

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

بارر بافتدائ نسختك من كتاب :

دفع عن البدعة

للأستاذ

احمد الزيات

وقد زيرت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً غير البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة في ابتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المدة للنشر فأولت اهتماماً خاصاً بمحطاتها فتنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية في الاعتدال .

هذا فصلا عن المطبوعات والنشرات المختلفة التي تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا ينبغي أن الإعلان في تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته .

ولزيادة الاستعلام خابروا . —

قسم النشر والإعلانات — بالإدارة العامة بمحطة مصر